953.24/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة والأدب العربي
شعبة الآداب والحضارة

جامعة بوبكر بلقايد - تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مجال للتصنيف رقم 2012
تاريخ Fac/L/II
الرقم 01693

السنة الثانية ماستر تخصص حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج لنيل درجة الماستر بعنوان

الحياة العلمية ببجاية في ظل الدولة الحفصية خلال القرن السابع الهجري

Fac/L/II 01693

من إعداد الطالبة:
معلاش مريم

إشـــراف:
أ.د. عبد الجليل مصطفاوي

السنة الجامعية:
1432-1431هـ/2011-2010م

شكر وعرفان

مهما قلنا ومهما كتبنا من كلمات الجد والشكر لن نستطيع أن نفيك حقك،ولكن لن نجد سوى قلمنا والحروف التي تعلمنا

ونسج كلمة من أعماق القلب فلك الحمد يا ربي ملأ السموات وملأ الأرض وملأ ما بينهما أهل الثناء والمجد أحق ما يقول العبد وكلنا لك عبد .

فكل الشكر والتقدير لك يامعلمي ويا أستاذي من الابتدائي إلى الجامعي.

كما يطيب لنا أن نتقدم بوافر الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل **عبد الجليل مصطفاوي**

كما لا أنسى فضل ونصائح الأستاذ الكريمة **بلعربيي سهام** .

إهداء

إلـــى أغلـــى ما أملك في هذا الوجـــود أمـــي الغالية التي لم تبخل علي بدعواتها إلـــى أبـــي الذي دعمني ماديًا ومعنويًا

إلـــى أفراد عائلتي أختي زهيرة , أخي محمد و أخي أمين سيف الدين.

إلـــى عائلتي : "معلاش " و"بلحساين" بتلمسان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث ماديًا ومعنويًا .

مقدمة

لقد شهد القرن السابع الهجري ازدهارًا علميًا كبيرًا في جميع حواضر المغرب الأوسط، ولا سيما بجاية التي تُعدُ أحد المراكز الثقافية الهامة في هذا العصر ، فقد عرفت تألقًا وبروزًا لامثيل له منذ تأسيسها في العهد الحمادي خلال القرن الخامس الهجري . إلا أنها لم تحظ بدراسات كثيرة من الناحية العلمية والحضارية في العهد الحفصي خلال القرن السابع الهجري ، إذ نجد معلومات شحيحة في هذه الفترة مقارنة بالاهتمام الكبير لبعض المصادر بدراسة بجاية خلال العهد الحمادي .

وبناءً على ذلك حاولنا تسليط الضوء أكثر على هذه الفترة لابراز مدى مساهمة بجاية في اخصاب الفكر العربي بمختلف فروعه ، ومحاولة إعطاء صورة عن الحياة العلمية والفكرية في بجاية خلال القرن السابع الهجري .

وقد قمنا باختيار هذا الموضوع الذي يتناول "الحياة العلمية " في إطار مكاني معين يشمل بجاية ، وزماني محدد خلال فترة امتازت بالنشاط العلمي والانتاج الفكري ، وهي القرن سابع الهجري .

ومن أبرز أسباب اختيار هذا الموضوع هي إبراز خصائص الانتاج النقلي والعقلي ، والكشف عن الاسهام العلمي ببجاية ، ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لهذا الموضوع اعتمادا على عوامل موضوعية متعلقة بأهمية البحث في هذا الحقل .

انطلاقا من هذا آثرنا بناء الإشكالية التي نسعى من خلالها توضيح *سمات الانتاج الفكري في بجاية خلال القرن السابع الهجري ، ومدى مساهمة علمائها في الحياة الفكرية خصوصا والحضارية عموما* . وفي هذا المنحنى حبذنا طرح عدة تساؤلات تنطوى تحت

الإشكالية ليكون لها أثر في تسهيل الدراسة لهذا الموضوع وإبراز معالم الإشكالية المطروحة والتي يمكن ايجازها في المطالب التالية :

- إلي أي مدى ساهمت الهجرة الأندلسية في الازدهار العلمي والحضاري في بجاية ؟ وهل أتى المهاجرون الأندلسيون بعلوم ومعارف جديدة ؟
- وما هي العوامل الأساسية في استقطاب بجاية مشاهير العلماء من كل حدب وصوب ؟
- وإلي أي مدى ساهمت بجاية في اخصاب الفكر العربي ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعت خطة بحث مكونة من مقدمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة .

أشرت في التمهيد إلى الموقع الجغرافي لبجاية ، وسكانها الأصليين الذين سكنوها قبل تأسيسها في القرن الخامس الهجري على يد الناصر بن علناس ، كما تحدثت عن تاريخها القديم منذ العهد الفينيقي و الروماني و الوندالي والبيزنطي ،ثم الفتح الإسلامي ، ثم تشييدها في العهد الحمادي ، ثم أوضاعها في العهد الموحدي ، والحفصي .

أما الفصل الأول فخصصته للحديث عن عوامل ازدهار الحياة العلمية ببجاية , ودور مؤسساتها الدينية في إثراء الحقل المعرفي والفكري , مع التطرق إلى مناهج التعليم وطرقه .

أما الفصل الثاني فخصصته للحديث عن أصناف العلوم العقلية والنقلية والترجمة لبعض مشاهير العلماء الذين عرفتهم بجاية في أواخر القرن السادس و السابع الهجريين .

ثم ختمت البحث بخاتمة وهي عبارة عن خلاصة واستنتاجات لما توصلت إليه من نتائج حول موضوع الدراسة ، كما دعمت البحث بمجموعة من الملاحق التي لها علاقة بالموضوع.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الملائم لطبيعة الموضوع ، من حيث الفهم والشرح والتفسير والتحليل .

وقد واجهتني بعض الصعوبات منها موسوعية العلماء في تلك الفترة مما يعقد مهمة الفصل في التخصص العلمي الذي يميز الاعلم في النغرب الإسلامي وأيضا نقص المصادر المتخصصة بصورة مباشرة في الموضوع , مقارنة بالمصادر الاعمة التي تناولت تاريخ المغرب .

وبطبيعة الحال اعتمدت في صياغة هذا العمل المتواضع على مادة علمية مكونة من مصادر خاصة بالدولة الحفصية وأخرى عامة عن بلاد المغرب والأندلس أهمها :

" عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لمؤلفه أبي العباس أحمد الغبريني المتوفى سنة (704 هـ ـ1304م) وهو عبارة عن تراجم لمشاهير وأعلام بجاية من شيوخ العلم ورجال الدين والتصوف والآداب الذين اشتهرت بهم بجاية في القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي ,وقد اعتمدت عليه كثيرا في ترجمة العديد من الشخصيات الذين أنجبتهم بجاية أو التي حلت بها أو مرت عليها .فمصدر الغبريني أمدنا بطبق دسم من نخبة العلماء في مختلف التخصصات والعلوم بما أنه عايش الفترة الذهبية لبجاية خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر ميلادي .

" المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة (647هـ ـ 1250م) ويعتبر من أهم المصادر التاريخية التي أرخت للدولة الموحدية ,فقد اتنبطنا منه تاريخ بجاية في العهد الموحدي .

" كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لعبد الرحمن بن خلدون (732هـ ـ808هـ / 1332ـ1406م) أمدنا الكتاب تقريبا بكل المراحل التاريخية الخاصة بدراسة التاريخ السياسي لبجاية , فلقد استفدنا من الجزء السادس الذي يحوي على معلومات تاريخية بالنسبة للصنهاجيين والموحدين والحفصيين .

" كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " لأبي العباس أحمد بن علي الشهير بابن قنفذ القسنطيني (740هـ ـ809 / 1339 ـ 1406 م) وهو مصدر لمادة تاريخية هامة عن تاريخ الدولة الموحدية والحفصية .

"أنس الفقير وعز الحقير " لابن قنفذ القسنطيني ،من تحقيق محمد فاسي وأودلف فور , يتضمن تراجم أعلام المغرب الإسلامي والأندلسي .

"الكامل في التاريخ " لابن الأثير المتوفى سنة (630 هـ) يعتبر مصدره من أهم المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرنين السادس والسابع الهجريين ، كما يتألف المصدر من ثلاثة أقسام ,القسم الأول خاص بالفتوحات وأخبار الدولة الحمادية ، أما القسم الثاني خاص بتاريخ الأندلس ،ويأتي القسم االثالث فيضم تاريخ دولة الموحدين إلى غاية سقوطها ، هذا الأخير اعتمدنا عليه في معرفة تاريخ الدولة الموحدية .

وفي الأخير يشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الدكتور **عبد الجليل مصطفاوى** الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة وتكبد عناء دراستها كما أمدني بالعديد من التوجيهات والنصائح في سبيل إتمام هذا العمل .

ولله الحمد من قبل ومن بعد ، فهو نعم المولى ونعم الوكيل .

مريم معلاش

تلمسان في : 23 جوان 2011.

مدخل

تاريخ بجاية قبل وبعد الفتح الإسلامي:

1 ــ قبل الفتح الإسلامي:

أ ــ بجاية القديمة: الموقع والتسمية:

بجاية بكسر الباء الموحدة وفتح الجيم والألف ثم ياء مثناه تحت وهاء في الآ خر ، مدينة من مدن المغرب الأوسط.[1]

أسس الفينيقيون مدينة بجاية وأطلقوا عليها اسم " صلدة " ثم انتقلت إلى الرومانيين وعرفت باسم (saldaea) ــ صلداي ــ ثم اتخذ الوندال بجاية كاعاصمة لقواعدهم بإفريقيا ، وأطلقوا عليها اسم (قورايا) وتعني جبل ، أطلق الفرنسيون عليها اسم بوجي (bougie) أي الشمعة ، ولعل هذا الاسم قد اشتق من شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهد بعيد .[2]

وفي النصف الثاني من القرنين الخامس هجري (460هـــ) والحادي عشر ميلادي(1027م)، فتح الأميرالحمادي الناصر بن علناس جبل كان به قبيل من البربر بنى مدينته وسماها الناصرية ولكن لم يقدر لهذا الاسم أن يحظى باستعمال الناس إذ غلب على المدينة اسمها القديم[3]، "ابقايت" المنتسب إلى أشهر قبيلة بربرية حسب رواية[4] أبن خلدون وما تزال هذه التسمية الأمازيغية مستعملة وهي التي أصبحت بالعربية هكذا "بجاية ".

---

[1] - صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، أبي العباس أحمد بن على القلقشندي ، وزراه الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة ،ج5، ص109

[2] - عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة بجاية ، أحمد الغبريني، رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1970، ص4-5.، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ـ عبد الحميد عويس، دار الوفاء، دار الصحوة، ط2، القاهرة،1991، ص102.

[3] - موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر ، يحيى بوعزيز، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2004، ج1، ص49.

[4] - تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمان ابن خلدون، دارا الكتب العلمية، ط1، بيروت لبنان، 1992، ج6، ص206.

تنقسم بجاية إلى قسمين: القسم الأول، على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية بجبل قوراية الذي يرتفع على سطح البحر بنحو 600 متر، والقسم الثاني بجاية الحديثة التي تمتد نحو وادي الصومام،لذي يعتبر نقطة وصل وفصل معاً، أما الوصل فيتمثل في الربط بين المدينة وجبال جرجرة، والفصل في أنه حائل مائي بين سكان هذه المناطق، كما أنها تقع بين مدينتين مهمتين هما الجزائر وقسنطينة، وتطل على خليج تحميه من الرياح والعواصف كتل عالية من الصخور.[1]

ب – تطورهـــــــــــا :

أسس الفينيقيون[2] بشمال إفريقيا مجموعة من المدن منها مدينة بجاية أطلقوا عليها اسم "صلدة"، إذ اعتبرت من أهم مدنهم الاقتصادية والتجارية، وبعد الفينيقيين آلت صلدة إلى الحكم النوميدي[3] ثم جاء الاحتلال الروماني الذي أتى بنية التخريب والتدمير بشمال إفريقيا ، فقد ضم مدينة قرطاجنة[4] سنة 146 ق.م ، ومنذ هذه الواقعة أصبحت "صلدة" كما نعتوها الرومان من ضمن مستعمراتها ثم تعرضت للاحتلال الوندالي[5]، إذ اتخذوها في بادئ الأمر كقاعدة لهم بإفريقيا وسموها بقوراية، وهي تعني جبل كما هو اليوم قائم يطل على بجاية ، وقد دام الاحتلال الوندالي بإفريقية ما يزيد عن القرن (431-534م).

---

[1]- دولة بني حمّاد، عبد الحميد عويس، ص102-103.

[2]- الفينيقيون أمة سامية وهي فرع من الكنعانيين الذين أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا، تعود بداية تاريخهم إلى الربع الأخير من الألفية الثانية قبل الميلاد . ينظر التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، عمار بوحوش، دار الغرب الغ سلامي،ط1، بيروت، 1997م، ص09، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ،محمد الهادي حارش، مؤسسة الجزائر 1992م، ص37

[3]- االنوميدين هم سكان شمال إفريقيا الأصليين إذ تشتمل مملكة موميديا على قسمين سيرهما قبيلتين ماسيسيل تشمل غرب الجزائر وماسيلي تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس. المرجع نفسه، ص60.

[4] - أسس الفينيقيون دولة قرطاجنة في شمال إفريقيا سنة 880 ق.م أو 814 ق.م وسقطت 146 ق.م . التاريخ السياسي للجزائر،عمار بوحوش ، ص10.

[5] - الوندال قبائل جرمانية انحدروا من السلالات النورماندية، المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ج2، ص03.

و لم تسلم بجاية من استعمار البيزنطيين[1] وصلوا إلى سواحل إفريقيا سنة 544م، واخضعوا مدنها للسيطرة والاحتلال، بل عمل البيزنطيون على نشر المسيحية ببطء في هذه الديار البربرية.

2 – بجاية بعد الفتح الإسلامـــــــــــــــي:

دخلت بجاية تحت الحكم الإسلامي منذ سنة 708م، بعد أن فتح المسلمون بلاد المغرب، وبسطوا نفوذهم في أنحائها، إلاَّ أن المعلومات التي تتصل بها في القرون الثلاثة الأولى للفتح الإسلامي قليلة، تقول دائرة المعارف الإسلامية أن بجاية لم يكن لها تاريخ يذكر في العهد البربري[2]، إلاَّ في عهد الدولة الحمادية، ولا عن المدينة الرومانية "صالداي" التي أقيمت عليها المدينة الحالية، ولا عن تاريخ اختفائها شيئاً يذكر[3]، إذ يعتبر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حداً فاصلاً في تاريخهم الطويل.

أ ــ في عهد بني حمـــــاد:

يعود تاريخ تأسيس بجاية إلى حادث سياسي وحربي حفز الناصر بن علناس تأسيس مدينة بجاية . وكان الباعث على تأسيسها الاحتماء من هجمات القبائل الهلالية التي تسربت إلى الجزائر في سنة 460هـــ.

تولى الناصر تأسيسها(454هـــ-481هـــ) على مقربة من صلداي الفينيقية الرومانية[4]، بعد أن هزموه في موقعه سبيبة 457هـــ بدسيسة المعز بن زيري بن عطية

---

[1] - البيزنطيون ينتسبون إلى روما ، أسسها الامبراطور الروماني قسطنطين سنة 330م في مدينة القسطنطينية . نفسه ،ص22 ،الجزائر حضارة وتاريخ ، الطيب بن نادر ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ،2008 ، ص29 .

[2] - البربر: اسم أطلقه الرومان على سكان المغرب، لأنهم كانوا يعتبرونهم أعاجم على حضارتهم، فسموهم برابرة، وعربت إلى بربر أي برابرة، والبربر هم سكان المغرب الأصليون، وقد اختلف في إثبات أصلهم، ينظر المغرب الكبير، عبد العزيز سالم، ج2، ص133.

[3] - عنوان الدراية، أحمد الغبريني، ص 05.

[4] - ينظر: المغرب العربي تاريخه وثقافته، رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2،الجزائر،1981، 207-285.

أمير فاس وإغراء تميم بن المعزأمير الدولة الزيرية وكان السبب في اختطاطها أن تميم بن المعز أنفذ إلى ابن عمه الناصر بن علناس محمد بن البعبع رسولا لاصلاح حال كانت بينهما فاسدة،" فمر البعبع بموضع بجاية وفيه أبيات من البربر قليلة ، ولما بلغ الناصر اختلى به وطعن له في وزيره أبي بكر بن أبي الفتوح وفي ابن عمه تميم ورآه يفكر في أي مكان يؤسس عاصمته الجديدة فدله على مكان بجاية وزينها له بأن منها يكون امتلاكه للمهدية ووعده الانتقال إليه والقيام بدولته، ثم عاد إلى مرسله تميم فنم عليه ابن أبي الفتوح لتميم بما دار بينه وبين الناصر، فقتله وألحق به عاقبة الغدر[1]"

شرع الناصر في اختطاطها بعد أن استيقن أهمية موقعها الحصين لدرء الاحداث الخارجية كونها في سفح جبل يحفظها من غارات الهلاليين، وأما مها خليج مأمون يسع أسطولا ضخماً يهيمن به على البحر وسوادها خصب،إلي جانب فائدتها الصناعية والحربية وقيمتها البحرية[2] .

فكانت مدينة حصينة منيعة بالبحر والنهر والجبال، يستعصى غزوها من البحر، ويصعب دخولها، قال صاحب الاستبصار: " فلم يكن للعرب إليها سبيل وكان لايدخلها منهم إلا من يبعث إليه الملك الحمادي لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها، فيدخلونها أفذاذا وفرساناً دون عسكر"[3]

[1] - الدولة المادية تاريخها وحضارتها، رشيد بورويبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977،ص65-66،الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ،ت : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ،ط1 ، بيروت ـ لبنان ، 2002 ، ج8 ، ص 222 - 223,

[2] - ينظر: تاريخ الجزائر، مبارك الميلي، ص276،الأدب في عصر دولة بنى حماد ، أحمد بن محمد أبو رزاق ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1979 ، ص94 - 95 .

[3] - كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، لمؤلف معربي مجهول، ت: زغلول عبد الحميد ،الإسكندرية، 1958، ص114.

وفي أواخر القرن الخامس الهجري نجد "البكري" يقول: " بجاية أزلية (قديمة) آهلة عامرة بأهل الأندلس شرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون....."[1]

إذ نجد البكري يقول بأنها كان يسكنها كثير من التجار الأندلسيين عقب تأسيسها، كما كانوا يسكنون مدناً ساحلية أخرى بالمغرب الأوسط، كما نلاحظ أنها احتلت مركزا هاما في الحياة الاقتصادية وذلك باعتبارها مدينة ساحلية بحرية، فقد كانت مصدر لتجارة مزدهرة.

وفي منتصف القرن السادس نجد الشريف الإدريسي يقول عنها:" ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد، وقد عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بليق. ومدينة بجاية في وقتنا (547هـ) هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة، بها القوافل منحطة والأمتعة إليها براً وبحراً والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، ربها من الصناعات والصناع ماليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق بها تحل المشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة، ولها بودا ومزارع ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيراً والتين وكثير من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد، بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن ....."[2] من خلال قول الإدريسي يظهر لنا أن بجاية كانت تحتل موقعا استراتيجيًا هامًا لها صلات تجارية مع أروبا وبلاد المشرق والمغرب الأقصى كما نستنتج من خلال من خلال قوله : الوفرة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها مدينة بجاية من خلال نشاطها التجاري و البري والبحري وانتشار الرفاهية والصناعة و ازدهار الفلاحة ،لاسيما في

[1] - عنوان الدراية، الغريني، ص8.
[2] - المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق الإدريسي، حققه ونقله: محمد حاج صادق، 1983، ص116-117.

الصناعات التي تتعلق بالبحر نظراً لكونها أهم مرفأ حمادي ، كما يذكر لنا معادنها الكثيرة (كالحديد) ومنتجاتها المتعددة (كالزفت البالغ الجودة والقطران)، ويثبت أيضاً أن عمرانها قد ازدهر بخراب القلعة.

ولم تزل بجاية في اتساع عمارة ورقي حضارة، تنعم بالرخاء الاقتصادي والتجاري، يقصدها الناس براً وبحراً، ففي القرن الثاني عشر الميلادي تفوقت بجراية على الجزائر، وأصبحت القاعدة الرئيسية للتجارة الحمادية الأندلسية، كما كانت لها علاقات تجارية مع العراق والحجاز والشام/ واليمن والمغرب الأقصى والهند والصين[1] .

أما عمرانا فقد اعتنى بنو حماد بالبناء والتشييد، فأسسوا كثيرا من القصور، يقول ابن خلدون عند حديثه عن المنصور لحمادي (481هـ-498هـ): "إنه هو الذي حضر ملك بني حماد وصَير بجاية دار مملكته،وجدد قصورها وشيد جامعها، وتأنق في اختطاط المباني، وتشييد المصانع، واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبني في القلعة قصر الملك والمنارة والكوكب وقصر السلام، وفي بجراية قصر اللؤلؤة وأميمون"[2].

وقد ذكر هذه القصور التي تدل على حضارة بني حماد المعمارية بجاية بعض شعراء تلك العصر كابن حماد، وابن حمديس الصقلي[3].

كما احتلت بجاية في عهد الحماديين مكانة مرموقة بين حواضر العلم في المغرب والمشرق، فأمها كثير من علماء مصر والشام والأندلس، أمثال : ابن حمديس الصقلي

[1] - ينظر: تاريخ الجزائر، مبارك الميلي، ص277.، الدولة الحمادية، رشيد بورويبة، ص150-151.
[2] - تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ص206-207.
[3] - المغرب العربي، رابح بونار، ص217.

شاعر الطبيعة الكبير، وقد عاش في بجراية أمداً ونشر بها أدبه، وابن كفاه القيرواني، وعز الدولة بن صمادح، محمد بن سحنون....

ويعود الفضل في انتعاش الثقافة العربية وازدهار الحركة العلمية إلى نشاط الحماديين في تقريب العلماء إليهم ومنافستهم لبني عمومتهم بني زيري، بالمهدية والقيروان، وقد كان الناصر بن علناس يستقدم الأدباء إليه ويقذف صلاته عليهم ، وكان ابنه المنصور يتناظر العلماء في مجلسه وقد بلغت الدولة في عهده رقيًا ثقافيًا وحضاريًا لا مثيل له.

وكان يحي حفيد المنصور فصيح اللسان بليغ القيم مليح العبارة بديع الإشارة، كما كان العزيز أبوه من قبل يتعاطى الأدب ويستقدم العلماء للمناظرة في حضرته بين يديه[1].

ب ــ في عهد الموحدين:

لقد كان بنهاية بني حماد (548هـــ) على أيدي الموحدين، أثر كبير في دخول المغرب الأوسط تحت نظام حكم جديد أحذت فيها بجاية تفتح صفحة من صفحات تاريخها السياسي والثقافي والعمراني والعلمي.

ففي عهد الموحدين أصبحت بجاية عاصمة إقليم بعد أن فتحها عبد المؤمن بن علي[2](547هـــ/1153م) وذلك بعد أن بلغه اضطراب إفريقية بسبب اختلاف الأمراء

[1] - ينظر : المغرب العربي - تاريخه وثقافته - ، رابح بونار ، ص 282 -213 -214 .

[2] - عبد المؤمن بن علي: مؤسس الدولة الموحدية، أصله من قبيلة زناتة، ولد بقية تاجراً سنة500هـ، بويع بعد وفاة المهدي سنة 526هـ، استطاع القضاء على دولة لموتة، توفي سنة 585هـ، ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج8، ص374.تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمان ابن خلدون، ج6، ص229،237.

واستطالة العرب عليها بالعيث والفساد، واستيلاء النورمانديين على سواحل إفريقية[1]، فزحف في سنة 546هـ من مراكش، قاصدا إياها وكانت إذاك تحت حكم يحي بن عبد العزيز، فقام

بحصارها والاستيلاء عليها، بعد أن هزم جيوش صنهاجة بأم العلو[2]،" ولما استولى عبد المؤمن على الجزائر وعلى بجراية والقلعة وأعمالها، رتب من الموحدين من يقوم بحماية تلك البلاد والدفاع

عنها، واستعمل عليها ابنه عبد الله، وكر راجعا إلى مراكش"[3]

ثم أرسل عبد المؤمن يحي بن عبد العزيز إلى بلاد المغرب حيث أقام بها وأجرى عليه شيئاً كثيرا، كما يجدر الإشارة إلى أن عبد المؤمن لما فتح بجاية لم يتعرض إلى مال أهلها ولا غيره، وسبب ذلك أن بن حمدون(من الوزراء والقواد) استأمنوا، فوفى لهم بأمانة[4].

كما تعرضت بجاية لاحتلال ابن غانية المرابطي سنة570.هـ و581هـ ثم استعادها الموحدون[5]، وقد بلغت بجاية في هذا العهد ازدهاراً مرموقاً، ونعمت برخاء وتقدم تجاري وعمراني.

[1] - تاريخ المغرب العربي، سعد زغلول أحمد، منشأ المعارف، الإسكندرية، 2000، ج5، ص387.
[2] - ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أبي العباس شهاب الدين النصاري السلاوي، م: محمد عثمان ، دار الكتب العلمية لبنان، ط1 2007، ج1، ص258.
[3] - تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ط2، لبنان، 2005، ص235.
[4] - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي، وضع حواشيه، خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية، ط2، لبنان، ص145.
[5] - عنوان الدراية، الغبريني، ص09.

وقد أحدث سقوط العاصمة الحمادية رد فعل عنيف في المغرب، لأنها تمثل سقوط آخر عاصمة تملكها أكبر قبيلة بربرية، وهي صنهاجة، ولهذا تجمعت القبيلة والقبائل المجاورة من كتامة ولواتة غيرهم، يرأسهم رجل أسمه "أبو قصبية"[1]، وقد لقيهم الموحدون في عرض الجبل شرقي بجراية بقيادة أبي سعيد يخلف، فهزموا صنهاجة وحاصروها، ومإن انتهى الموحدون من هذه الثورة، حتى ظهرت ثورة أخرى تزعمها أعراب من الأثبج وزغبة ورياح في أكثر من موقع، لكن رغم هذا استطاع الموحدون بقيادة الخليفة عبد المؤمن توحيد شمل المغاربة، فملكوا المغرب الأقصى والأوسط وافريقية، وقد شهدت بجاية في عهده الاستقرار[2].

تولى حكم بجاية مجموعة من الولاة الموحدين، منهم: "محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي الذي كان مدمناً على شرب الخمر، كما عرف باختلال الرأي وكثرة البطش وحبه لنفسه[3] ، وبسبب أخلاقه المنحطة كفاه أبوه بحكم بجاية فقط، وبعد وفاة الخليفة عبد المؤمن (558هـ/1136)، تولى من بعده الخلافة يوسف بن عبد المؤمن بن علي

ظلت بجاية تحت حكم عبد الله بن عبد المؤمن واليا عليها إلى وفاته (551ه /1166) ثم تم تعيين أبا زكريا يحي بن عبد المؤمن والياً عليها إلى أن توفي سنة (571 هـ / 1176 م).

وفي سنة 576هـ-1179م واى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أخاه موسى عيسى على بجاية، ومن بعده تولى شؤونها أخاه أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد

[1] - أبو قصيبة، رجل من بني زلدون إحدى بطون صنهاجة، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، امغرب)، منشأة الناشر المعارف، الاسكندرية،2003،ج1، ص392.
[2] - ينظر: تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمان ج6، ص279، دولة بني حماد ، عبد الحليم عويس، ص196.
[3] - المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص17

المؤمن بن علي إلى غاية وفاة الخليفة سنة580هـ-1183م، اتسمت أوضاع بجاية في هذا العهد بالاستقرار، لكنها شهدت اضطراب وتوتر في عهد الخليفة عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي بسبب حركة انتقامية قام بها بنو غانية[1] 570هـ أو581هـ، الذين استهدفوا بجاية أهم مدد الدولة الموحدية[2].

أوضاعها في أواخر أيام الموحدين:

دخل المغرب الإسلامي والاندلسي في حالة من الفوضى والإضطرابات السياسية والعسكرية إثر هزيمة الجيوش الموحدية إمام النصارى الإسبان في معرك العقاب سنة 609هـ ـ 1212م [3]، حيث تسببت هذا المعركة من سريان الضعف في كيانات الدولة بالإضافة إلى اعتلاء عرشها مجموعة من الخلفاء الضعاف وقيام عدد من الثورات وحركات الانفصالية التي حدثت بالدولة.[4] وقد زادت من تفاقم الأوضاع وانهيارها : وفاه محمد بعد عودته من الأندلس وتعيين ابنه يوسف المستنصر بالله مكانه ، وهو مايزال شابا يافع في السادسة عشر من العمر ، لا خبرة ولادراية له بأمور الدولة وسياسية الملك ، إذ ترك شؤون الامبراطورية لوزرائه الذين لم يكونوا في مستوى المسؤولية ، وانشغل هو نفسه عند التدبير بما يقتضيه جنون الشباب على حد تعبير ابن خلدون.[5]

وقد استفحل الصراع على السلطة بين أفراد البيت الموحدي ، وشيوخه والطامحين إلى النفوذ فيه وذلك منذ وفاة الناصر ، ودخلت الدولة بسبب ذلك في دوامة من المعارك

[1] - بنو غانية :من أعيان الملثمين المرابطين ، ينظر: المصدر نفسه، ص28.
[2] - ينظر: دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، عبد الواحد ذنون طه، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 2004. ص220-221.
[3] - مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ،عبد العزيز محمود لعرج ، مكتبة زهراء الشرق، ط1 ، القاهرة 2006م ص09.
[4] - المغرب العربي في العصر الإسلامي ، محمد حسن العيدروس ، دار الكتاب الحديث ، ط1، القاهرة ، 2008م ، ص197.
[5] - مدينة المنصورة ، عبد العزيز محمود لعرج ، ص9- 10.

الانتحارية المستمرة .[1]

وفي فترة من الانحلال التدريجي المفتت لقوى الدولة ومواردهاوالمؤدي أخيرا إلى انهيارها وسقوطها استغلت بعض القوى السياسية في الدولة وبعض الزعامات القبلية هذه الأوضاع المتردية، فبرز على مسرح الأحداث السياسية ثلاثة قوى مختلفة في مشاربها ، متفقة في أهدافها ، وطموحها إلى الملك والسلطان ، وأول من بادر في إعلان العصيان وتحقيق الانفصال عن الدولة والاستقلال عنها ،" أبو زكريا الحفصي" مكونا الإمارة الحفصية متخذا من تونس عاصمة له ، وجاءت الخطوات الثانية من الاستقلال على يد" يغمراسن بن زيان" مكونًا الإمارة الزيانية، ومتخذا من تلمسان عاصمة له ، وساربنو مرين في المغرب الأقصى على نفس الوتيرة وتم ذلك بعد الاستيلاء على مراكش ، واتخاذها عاصمة لهم والقضاء نهائيا على الدولة الموحدية سنة 668هـ ـــ 1269م[2].

في هذه الفترة انضوت بجاية تحت سلطة الدولة الحفصية الناشئة.

جـــ ـــ بجاية في عهد بني حفص:

يعتبر بنو حفص أهم أسرة حاكمة في تاريخ المغرب الأدنى إبان الفترة المتأخرة من العصور الإسلامية ، ويرجع نسب هذه الأسرة إلى الشيخ أبي عمر بن يحي الهنتاني، أحد العشرة من أصحاب المهدي، وقد كانت لهم مكانة كبيرة(بني حفص) في الدولة الموحدية، إذ تقلد مناصب هامة في الدولة، ويعد أبو زكريا الحفصي المؤسس الحقيقي للدولة الحفصية[3].

[1] - الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى ، السلاوي ،، ص260.

[2] - ينظر مدينة المنصورة المرينية بتلمسان ، مرجع نفسه، ص9- 11، المغرب العربي في العصر الاسلامي محمد حسن العيدوس ، ص198-200 ،دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي ، عبد الواحد ذنون طه ،ص221 -222 .

[3] - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ابن قنفد القسطيني، ت: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1948، ص103.

لقد استقل الحفصيون والجهة الشرقية من المغرب الأوسط عن الموحدين بتولي أبي زكرياء، يحي بن أبي محمد بن عبد الواحد الحفصي لزمام السلطة بتونس سنة 625هـ[1].فدخلت بجاية تحت حكم الحفصيين بعد استيلاء أبي زكرياء الحفصي عليها سنة629هـ، وفي سنة 633هـ ،أسند حكم المدينة وإقليمها لابنه أبو زكريا يحي الأول، فجعل وزارته ليحي بن صالح بن إبراهيم وشواره لعبد الحق بن ياسين، وكلهم من هنتانة، وتوفي سنة646هـ[2].

ولى المستنصر ابا هلال عياد بن سعيد الهنتاني على بجاية فمكث بها إلى وفاتة سنة673هـ/1274م، فخلفه ابنه محمد لكنه لم تطل ولايته طويلا كل بجاية لان والي عهد الخليفة المستنصر بالله يحي الملقب "بالواثق" عزله وأبعده عن بجاية، خشية استبداده فأشرك معه أبي العلاء إدريس بن عبد الملك الغافقي على أشغال بجاية ، فوجد محمد بن هلال في ذلك مضايقة له، فتخلص منه بقتله677هـ[3].

وفي سنة679هـ ولى إبراهيم الأول ولده الأكبر أبا فارس عبد العزيز على بجاية، وجعل حجابته لمحمد بن أبي بكر بن خلدون جد المؤرخ الأقرب، ولم تكن لتمر ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً على حجابته حتى قتل على يد ابن أبي عمار[4] الدعي، انتشر خبر الدعي عند عرب طرابلس الذين ساعدوه على بسط نفوذه الذي احتوى على غالب البلاد[5]، فأحس ابن إسحاق إبراهيم الحفصي بالخطر يهدد ملكه، فنهض لمحاربة الدعي،

[1] - عنوان الدراية، الغبريني، ص15، في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، (دط)، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 2008م، ص180.

[2] - عنوان الدراية، ص16. تاريخ الجزائر العام، مبارك الميلي ،ص391.

[3] - ينظر: تاريخ الجزائر العام ، عبد الحمان بن محمد الجيلالي ، ديوان الطبوعات الجامعية، ط7، الجزائر، 1995،ج2، ص80.

[4] - ينظر: المرجع نفسه، ص81، تاريخ الجزائر، مبارك الميلي، المرجع السابق، ص391.

[5] - الحلل السندسية في أخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي الوزير سراج، ت: محمد الحبيب هيله، الدار التونسية للنشر، 1970، ج1، القسم 4، ص1036.

فهذا الأخير استطاع إلحاق الهزائم به وبابنه زكرياء التي اضطرتهما إلى الإنسحاب والتوجه إلى بجاية التي كان بها أبو فارس وعند وصول ابن أبي اسحاق إبراهيم بجاية خلع نفسه من الحكم وولى ابنه أبو فارس، والذي لقب نفسه بالمعتمد، خرج لمواجهة الدعي والتقى معه على قلعة سنان فخانه جيشه الذين التفوا حول الدعي، وأمسك أهل بداية المعتمد حين رجوعه وأتوا به للدعي فقتله في تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة 682هـ، ونجا أبو زكرياء بن أبي إسحاق إلى بلاد المغرب ثم سيق أخوه عبد الواحد حياً فقتله الدعي[1].

عمت بجاية بعد هذه الواقعة الاضطراب وحالة من الفوضى، امتلك فيها الدعي البلاد لكنه لم يمتلك عرش إفريقية طويلا، فلقد ظهر الأمير بن زكرياء بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الذي استطاع أن يحقق النصر واسترجع ملك أبائه وتم له التخلص من الدعي 683هـ، 1285م، وبهذا أصبح ملك لإفريقيا ولقب نفسه بالمستنصر بالله لكنه لم يتمكن من البقاء طويلا في كل أعمال إفريقيا لأن أبو زكرياء بن إسحاق إبراهيم تقاسم معه الملك، فلقد استولى أبو زكرياء على الجهة الغربية للدولة الحفصية، فأصبحت بذلك مقسمة إلى شطرين الشرق ضم تونس وحكمه أبو حفص ،والغرب ضم بجاية وقسنطينة وحكمه أبو زكرياء، وبعدما استقر ملك هذا الأخير رغب في التوسع وضم باقي المناطق الحفصية فتوجه إلى تونس الإستلاء على ملك أبي حفص، فنهض في سنة 685هـ، 1287م[2].

[1] - المصدر نفسه، ص1037.
[2] - الفرسية في مبادئ الدولة الحفصية، ابن قنفذ ، ص149، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الوزير سراج، ص 1039.

وبانقضاء القرن 7هـ ـ 13م، وبداية القرن 8هـ ـ 14م، عرفت بجاية عدة محاولات غزو من طرف الزيانيين، كما تعرضت بجاية لسيطرة المرينيين، فبعد إخضاعهم الطويل إليها تمكن أمراء الحفصيين من جمع كل أعمال الدولة الحفصية.

الفصل الأول:

عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية.

1 ــ عناية السلاطين و الأمراء بالعلم و العلماء :

لقد ساعدت عدة عوامل في ازدهار الحياة الثقافية و العلمية بالمغرب الأوسط بما فيها بجاية :

أولها : درجة التشجيع التي أولاها أمراء بني حفص للعلم و المتعلمين ، والحركة التأليف، وخلق مجالات التنافس بينهم .

إذ نجد أن أبا زكرياء الثاني [1] ابن السلطان أبي اسحاق أنه لما تولى الإمارة :"وجه للمدرس ــ أبو العباس أحمد الغرناطي صاحب "كتاب المُشرق في علماء المغرب و المشرق" ــ قراطيس بذهب وفضة وقال : فرقها على كل من تجد في المدرسة ، فسمع الناس بذلك ، فجاؤوا من كل مدرسة حتى امتلأت و لم يبق لأحد أن يجلس ، وكان يحضر مجلسه للوعظ يوم الاثنين و الجمعة فيطلق العنبر و العود ، مادام المجلس ، وأجرى على المدرسة رزقًا حسنًا ، قدره عشرة دنانير في كل شهر وجعل بين دار سكناه و بين المدرسة طاقا يسمع ما يقرا في المدرسة ."[2]

وعلى غرار ذلك إن الأمراء الحفصيين بجد ذاتهم كانوا شغوفين بطلب العلم ، يعرفون قدر ومنزلة العلماء ، وعلى دراية بمشاق العلم ومنافعه .[3]

فنجد أبا زكرياء الأول :"يختم على الشيخ الرغيني كتاب المستصفى للغزالي وغيرها من الكتب المفيدة ، وناظر في النحو على ابن عصفور و ابن الحاج ، وكان فقيها

---

[1] -ابو زكرياء الثاني ابن السلطان ابي اسحاق نشأ بمدينة تونس ، كان نزيها محبا للعلماء معظما للعلم ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية ، الوزير سراج ، ج1(القسم 4) ص 1040

[2] -نفسه ، ص 1024،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، الزركشي ، ص 210

[3] -دراساته في الأدب المغربي القديم ، عبد الله حمادي ، ص 129

أدبيًا معدودًا في العلماء والشعراء وله وصية بليغة ، وقصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وله شعر بليغ "[1].

كما نجد المستنصر الحفصي "كان علمًا و شاعرًا وله شعر يصبى النفوس ويتلذذ بسماعه الرئيس و المرؤوس "[2].

وكذلك "أبو العباس الحفصي" الذي حاز على الفصاحة ما تستغربه المسامع ، وكان من مجيدي الشعراء.[3]

وكأحد دعائم الدولة الحفصية التي بنيت عليه ــ *التنافس على العلم* ــ إذ أصبح أمراؤها يتنافسون في بناء المعاهد العلمية و المدارس .ويبذلون من أموالهم ما يغري الطلبة على الالتحاق بمثل هذه المنشآت :"فمنذ فجر الدولة الحفصية اتخذت المدارس التعليمية الكبيرة على غرار ما كان موجودا بالمشرق ، العراق والشام ، ومصر وتسابق أفراد أمراء الحفصيين إلى إنشاء مثل هذه المعاهد في حضرة تونس وأقدمها تاريخًا (الشماعية)التي أقامها مؤسس الدولة الحفصية أبا زكرياء الأول ، واقتدت بسنته الأميرة "عطف " في تشييد مدرستها التوفيقية ." [4] هذا من جهة

ثم إن المنافسة كانت شديدة بين ملوك البلاط الزياني و البلاط الحفصي و المريني من جهة أخرى في تقريب العلماء و الأدباء و الفنانين من مجلسهم فكانوا يرحبون برجال العلم ترحيبا بالغا ويرفعون من شأنهم ، ويبذلون الهبات و العطايا ، ويترلون المترل اللائق بأمثالهم.[5]

---

[1] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، ط 3، دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان .1997،ج 5،365، الحلل السندسية ، الوزير سراج ، ج 1، (القسم 4) ،ص 1025

[2] نفسه ،ص1027

[3] نفسه ، ص 1040

[4] دراسات في الأدب المغربي القديم ، عبد الله حمادي ، ص 131

[5] ينظر : المرجع نفسه ، ص 133، 134

وقد نشطت حركة التأليف ، خاصة في عهد أبي زكرياء الحفصي وولده المستنصر بالله ، وانتشرت حركة تآليف ، "حازم القرطاجي" و"ابن عصفور النحوي "و"ابن الأبار الأندلسي" و"ابن المطرق المخزومي" و"أحمد الغبريني" صاحب كتاب "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " وقد أورد الغبريني ما ينيف على مائة وثلاثين ترجمة ، وهذا دليل قاطع على الثراء الفكري الذي شهدته بجاية ، و الذي يعد أحفل سجل عن هذه الحقبة الذهبية . وعليه شهدت المدينة خلال العهدين الموحدي و الحفصي (6هـ ـ7هـ)(12م ـ13م) ، حياة ثقافية غنية ونشطة ، تمثلت في التنوع الهائل للتآليف الدينية و الأدبية و العلمية ، فكان لطلبة بجاية حظ كبير في تذوق كل هذه الطبوع العلمية كمااهتم وُلاَتُهَا على رعاية كل ما يَمُس مناهج الفكر وأسس العلم هذا الاهتمام دليل على شغفهم وولعهم البالغ بالعلم و القراءة وتتلألأ بجاية بالجلسات العلمية و المناظرات الفقهية التي كانت تقام بالمساجد أو لدى الولاة تحت رعاية خلفاء الدولة ، الذين حافظوا على جوهر الدين ونشر أصوله العقلية و النقلية.[1]

و العامل الثاني :هجرة الأندلسيين إلى المغرب وإفريقيا.

إن الهجرات الأندلسية تجاه المغرب الإسلامي كانت قديمة ، وسابقة للقرن السابع للهجري ، إذ بدأت في عهد الدولة الأموية التي كانت تبحث عن قاعدة أندلسية ببلاد المغرب تقف في وجه الفاطميين ، واستمر تدفقهم بعد سقوط الخلافة الأموية .[2]

ـ تعود هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط و إفريقيا لأسباب عديدة :

1ـ التدهور السياسي الذي أصاب الأندلس عقب سقوط الدولة الاموية (422هـ ـ 1029م) ، وقيام ملوك الطوائف (430هـ ـ488 م).

[1] ينظر : عنوان الدراية ، ص 34 و 36، دولة بني حماد ، عبد الحليم عويس ، ص 254 ـ255 ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، رابح بونار ، ص 285

[2] ينظر :موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، بومعزيز يحيى ، ص 48ـ49.

2ـ سقوط الأندلس في يد المرابطين (488هـ ـ530هـ) على يد يوسف بن تاشفين وهذا ما دفع وحفز إلى هجرة كثير من أعلام الأندلس إلى المغرب، نقلوا معهم حضارتهم و علومهم و آدابهم وفنونهم ،[1] حيث يقول المراكشي في ذلك :"فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم ، واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب و فرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعاصير"[2]

ومما لاشك فيه أن بجاية كانت حاضرة علمية تنافس حاضرة مراكش فقد وفد عليها كثير من الأندلسيين .

وفي عهد الموحدين كثُر احتكاك الأندلسيين و المشارقة بحواضر المغرب ، وصارت الإمبراطورية الموحدية ومركزها مراكش تستقبل أعلام الأدب و الفلسفة .... كابن طفيل وابن الرشد ،.... وكانت الحواضر الاخرى كفاس وتلمسان و بجاية لا تقل عنها استهواء.[3]

فبجاية استهوت ألباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء ومدرسي العلوم وأهل الفتوى و القضاء التونسيين و الليبين و الأندلسيين و غيرهم ومنهم الصوفي الكبير "أبو مدين شعيب التلمساني " الذي استقر ببجاية في منتصف القرن الخامس الهجري ، و أقام بها مدة طويلة إلى أن انتقل منها الى تلمسان 591هـ و توفي بها [4] وكذلك "عبد الحق الإشبيلي" المحدث الكبير الذي نزل بجاية و نشر بها علمه ، وكان صديقا لأبي مدين و أبي علي المسيلي .[5]

---

[1] عنوان الدراية ، الغبرني ، ص 37

[2] المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، المراكشي ، ص 144

[3] عنوان الدراية ، نفسه ، ص 38

[4] البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، أبي عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 108 ـ114 ، عنوان الدراية ، الغبرني ، ص 21 و38 ستأتي ترجمة ابو مدين شعيب الأندلسي في الصفحات اللاحقة .

[5] نفسه ص 38

يقول أبو علي المسيلي :" أدركت بجاية ما ينيف على تسعين مفتيا ... فما ظنك بالأدباء و النحاة و المحدثين و غيرهم "[1]

وقد ازدادت حدة الهجرات في القرن السابع الهجري نحو المغرب الأقصى و الأوسط و إفريقية ، لاسيما بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العُقَاب 609 هـ /1212م ، واستقر عدد كبير منهم ببجاية .[2]وهذه الظاهرة (الهجرة) قد لفتت انتباه ابن خلدون و غيره من المؤرخين ذكر" المقري" جماعة كبيرة ممن هاجروا إلى المغرب و المشرق فقال :" اعلم جعلني الله تعالى و إياك ممن له للمذهب الحق انتحال ، إن حصر اهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا حال ، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال و لو أطلنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ،....."[3]

ومما لاشك فيه أن الحضرة الحفصية قد استفادت من نتائج زحف النصارى على شرق الأندلس ، و استيلائهم على قواعده ، فنتج عن ذلك حلول نفر من العلماء على حاضرة الدولة و على بجاية ، بما يحمله كل منهم من اختصاص وتجربة ، فبفضل ذلك عرف الجو الثقافي انتعاشا لا مثيل له تمثل في تطور الأساليب الفنية ، وتنوع مجاري التآليف ، كما حفلت المكتبات بالعديد من التآليف الجديدة ، هذا إلى جانب تعميم التعريب .[4]

وقد أدى هؤلاء العلماء أدوارًا ثقافية هامة بالمغرب الأوسط و ببجاية خاصة لعل أبرزهم :

ـــ أبو العباس أحمد بن محمد حسن الصدفي الشاطبي المقري .

---

[1] نفسه ص 38 ، تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ، ج 2 ، ص 75

[2] بعنوان الدراية نفسه ، ص 38ـ39.

[3] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، أحمد بن محمد المقري ، شرحه و ضبطه : مريم قاسم طويل ، يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1995 ،ج2 ، ص 213

[4] ينظر : دراسات في الأدب المغربي القديم ، عبد الله حمادي ، ص 128 ـ 129

ـــ أبو الحسن علي أحمد الحرالي التجيبي (ت 638 هـــ او 637هـــ) .

ـــ ابن سبعين (ت 669هـــ)

ـــأبو الحسن علي النميري الششتري (ت 668هـــ)

ـــ أبو بكر محمد بن احمد سيد الناس اليعمري الإشبيلي المحدث (ت 659هـــ) كان راوية حافظا بالحديث ، استحسن المستنصر بالله قراءته وقصده ، وكان ذلك سببا في خطوته ، فقرب منزله ، وأجزل عطيته وجائزته .

ـــ أبو بكر محمد بن أحمد الزهري البلنسي المعروف بابن محرز ، وكـــان أديبـــا كبيرا، وقد رأس الجماعة الأندلسية ببجاية فكان يجتمع عنده ابن الأبار و أبو المطـــرف بن عميرة ، وأبو بكر سيد الناس و أبو عبد الله ابن الجنان و غيرهم.

وبهذا نستطيع القول أنه من عوامل هجرة الأندلسيين نحو بجاية ، موقعها المتميز ، فضلا عن مكانتها السياسية و الإقتصادية التي تتمتع بها ، بالإضافة إلى توسع عمرانها ، كما أنها كانت من أهم قواعد المغرب الإسلامي في العهد الموحدي ، فقد حافظت على مكانتها التي اكتسبتها منذ العهد الحمادي ، واستمر نفوذها و تفوقها إلى غاية العهـــد الحفصي الأول ، حيث كانت في الدرجة الثانية بعد مدينة تونس .[1]

أثر المهاجرون الأندلسيون بمختلف توجهاتهم و تخصصاتهم في النهضة العلميـــة ببجاية ، كما تأثروا بعلمائها و اكتسبوا معارف ومناهج جديدة ، بالإضافة إلى تأثرهم بعوائد سكان بجاية فالأندلسيون لقوا الرعاية الكبيرة خلال تواجدهم ببجاية ، فسرعانما تأقلموا مع هذا الشعب المضياف[2] ، فلقد كان الشيخ الإمام أبو مدين شعيب يفضـــل بجاية على كثير من المدن ويقول " أنها معنية على طلب الحلال "[3]، وقـــد تعهـــدت

---

[1] -التجربة الأندلسية بالجزائر مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط ،ناصر الدين سعدوني ، ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات ، مطبوعات الملك عبد العزيز ، ط1 ، الرياض ،1996 ، ص 81 ـ 83

[2] نفسه ،ص84

[3] عنوان الدراية ،الغبريني ،ص 65 .

مكانتهم إلى اعتلاء أهم المراكز في الحكم خاصة في العهد الحفصي ، فلقد اعتمد ولاة الحفصيين ببجاية على العنصر الأندلسي مما زاد من نفوذهم ودعم مكانتهم فأصبحوا رجال البلاط وعمال الدواوين حجاب (وزراء)احتكروا المناصب الدينية و التعليمية ، فاستحوذوا بذلك على أعلى المناصب الإدارية .

ثم تقلص النفوذ الأندلسي ، بعد سقوط بجاية في يد الإحتلال الإسباني ، لكن الحركة العلمية وورود العلماء على بجاية لم ينقطع ، بل شهد طفرة كبيرة خاصة بعد حرب الاسترداد.[1]

بالإضافة إلى العوامل التي ذكرناها هناك عوامل أخرى ساهمت في ازدهار الحياة الثقافية ببجاية و في المغرب الأوسط و الأندلس بصفة عامة خلال الفترة المدروسة .

ـ *الرحلات العلمية* وهي من أبرز عوامل إذكاء روح النشاط الثقافي و التي كانت تعتبر شرطا أساسيا في طلب العلم ، وذلك ما عبر عنه ابن خلدون يقوله:"إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم ، فالرحلة لابد منها في طلب العلم ، لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال".[2]

إذ تعتبر الرحلات دائما من الحلقات المتينة التي تربط المشرق بالمغرب إما بدافع الحج أو طلب العلم أو بهما معا ، فكانت حصيلة كل ذلك هو إبداع ذلك الفن الرفيع من أدب الرحلات و التي ساعدت (الرحلات) على تقريب الأجواء الثقافية و توصيل المعارف .[3]

كما لعبت *المكتبات* دورا هاما في انتعاش الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط و قد حضيت هي الأخرى باهتمام وعناية السلاطين ، وبذل ما في وسعهم لاقتناء الكتب في مختلف العلوم ، والتمكين من ولوج المكتبات العامة و الخاصة ، بما فيها من نفائس

---

[1] التجربة الاندلسية بالجزائر ، ناصر الدين سعيدوني ،ص 84

[2] المقدمة ، عبد الرحمن ابن خلدون ، ص 1038ـ1039

[3] ينظر : دراساته في الادب المغربي القديم ، عبد الله حمادي ، ص 126

المخطوطات ، أيضا نجد التنافس في إنشاء المكتبات و التي كانت كالوعاء الأساسي للاغتراف من العلوم . كما تعد مكتبات عصرها خاصة في الدول الأوروبية مثلا مكتبة "اكسفورد" في القرن 14م كانت عبارة عن صندوق واحد فيه بضع مجلدات مجهولة تحت رحمة رئيس رهبان كنيسة مريم.[1]

ولعبت الوراقة و ازدهار فن النسخ كذلك دورا كبيرا في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب الأوسط بصفة عامة ، إذ تنافس الفقهاء و الخطاطون و الطلبة على نسخ المصاحف و الكتب المشهورة .[2]

وكتكملة للرحلات العلمية ، فقد بدأت الحركات العلمية و الثقافية نحو المشرق ، منذ بداية القرن الثالث هجري التاسع ميلادي محتشمة . في بداية القرن (6هـ ـ 12م) كانت البداية الحقيقية للإقلاع العلمي و الثقافي ، ومن بين المناطق المشرقية ، التي ارتحل اليها علماء المغرب بصفة عامة و البجائيين بصفة خاصة : القاهرة حاضرة الفاطميين و الإسكندرية و بغداد و الحجاز و دمشق حاضرة بلاد الشام ، هذه الأخيرة توافد عليها عدد كبير من العلماء ، تاركين بصمات من ثقافتهم .[3]

ومن بين علماء بجاية الذين ارتحلوا الى المشرق العربي ، و عملوا على بناء الحضارة بها و إثرائها نذكر منهم : العالم الزواوي يحي أبو الحسن : الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين مدة (564هـ ـ 628م) ونبغ في النحو و الأدب وعلوم اللغة و الشعر وكان كثير الحفظ ، ارتحل إلى المشرق و انتهى به المقام في دمشق ، درس بمدارسها ، حيث إلتحق به جمع غفير من الطلاب ، لينتفعوا من علمه ، ذاع صيته بدمشق ، فاستدعاه حاكم مصر (الملك الكامل) إلى القاهرة ، ليستفيد الناس من علمه وحنكته السياسية و الاجتماعية ،

---

[1] تلمسان في العهد الزياني ، فيلالي عبد العزيز ،ص 66

[2] ـ نفسه ، ص 26

[3] ـ العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين التاسع و العاشرين الميلاديين، عمار هلال ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 235 ـ 238 .

وبالفعل غادر دمشق متوجها إلى القاهرة ، هناك جلس يدرس في الجـــامع الازهـــر و اعتكف على الكتابة و التاليف الى غاية و فاته .[1]

وقد تولى الفقيه زين الدين عبد السلام زواوي القضاء إلى غاية وفاة الســـلطان بيبرس [2]، وغيره كثير ، هذا التميز الذي انفرد به علماء المغرب الإسلامي ، دليل على قدرتهم العلمية و ثقافتهم الواسعة التي اكسبتهم أعلى المناصب بالإضافة إلى القضـــاء ، برعوا كذلك في علم الحديث و نبغوا في علوم اللغة العربية .

وعليه نستطيع القول إن الهجرة الأندلسية لعبت دورا فعالا في إثراء الثقافة ببجاية، وإعانتهم للحركة الثقافية فيها بما حملوه من علوم و آداب ، فأدى هذا إلى تبادل معرفي و ثقافي و انصهار اجتماعي و اقتصادي ، فكونت كل هذه العناصر الملامح الأساســـية للشخصية الثقافية البجائية ساعدت على إبرازها في صورة خاصة ، كما ساعدت على رقيها و ازدهارها .

[1] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 133

[2] نفسه ، ص 135

2ـ المؤسسات الثقافية ببجاية ودورها :

لقد كان لها دور فقال في تنشيط الحياة الثقافية و الفكرية بالمغرب الأوسط ، وقد حظيت هذه المؤسسات برعاية السلاطين ودعمهم بإنشاء المدارس و المساجد ، وجلب العلماء لتدريس بها و الإنفاق على طلبتها و القائمين عليها وتنظيم برامجها الدراسية .

2.1/ المساجد :

من أهم مراكز العلم في المغرب الإسلامي" المسجد" ، ولقد أدى المسجد دورا كبيرا في شتى المجالات ، سواء الدينية منها او الاجتماعية أو الحربية في المجتمع المغربي ، فبالإضافة الى كونه مكانا للعبادة ، كان يجتمع به الناس للذكر و تلاوة القرآن فرادى و جماعات ، وتدارس بعض الكتب ، وأجاز الفقهاء ذلك من باب التعاون على البر و التقوى ، وخلق جو من النشاط،[1] كما كان يقوم مقام المدارس و المعاهد العليا ومركز إشعاع فكري يشرف على الدراسات الفكرية و العلمية ، وفيه ايضا تلقى الدروس، وتعقد حلقات للبحث ، وتنظم المناظرات العلمية ، وقد عُدت المساجد ملتقى لعامة الناس يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة و الخاصة ، فتقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة ، وتعقد فيه عقود الزواج و التجارة ، وأحيانا مقرًا للفصل في القضايا ، ثم صارت مركزًا للعلماء و مقصدًا لطلبة العلم .[2]

وقد أطلق على بعض المساجد "المسجد الجامع " و التي تميزت بنظامها التعليمي الخاص فلم يكن للصغار التعلم فيها بل كانت مخصصتا لتعليم الكبار و مجالسة العلماء .[3]

---

[1] ينظر : المغرب العربي في العصر الإسلامي ، العيدروس ،ص 592، حضارة العرب ، غوستافه لوبون ، نقله إلى العربية : عادل زعيتر ،عيسى البابي ،1960 ص 425.

[2] عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، ص 145

[3] الهجرة الاندلسية الى المغرب الاوسط و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7و9هـ/13و15م ، مريم بوعامر ، رسالة ماجستير في تاريخ للغرب الإسلامي ، قسم التاريخ ، تلمسان ، 2009ـ2010م ، ص69

أما في بجاية فكان بها حوالي 73مسجدا [1] ، اذ يذكر حسن الوزان أن بها "جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم ، بالإضافة إلى زوايا الصوفية ".[2]ففي العهد الحمادي بني الأمير المنصور بن علناس ، أعظم مسجد سماه بالمسجد المنصوري ، كما يسمى أيضا بالمسجد الأعظم ، هذا القطب استقطب الكثير من الطلبة و العلماء ، فتخرج منه الكثير حيث تواصلت شهرته إلى غاية الحقبة الموحدية و الحفصية ،[3] يحدثنا الغبريني أنه بعد أن تقدم في دراسته أخذ يحضر الحلقات العلمية التي كانت تعقد بالمساجد الكبيرة ، كالمسجد الأعظم ببجاية، و الذي تلقى في برنامجه الدراسي نوعين من العلوم :علوم الدراية و علوم الرواية .[4]

ومن مساجد بجاية أيضا مسجد الريحانة ، حيث نزل به محمد بن تومرت ،[5] وكان الفقه يأتون منهم " محرز وإبراهيم الزيدوري ، و إبراهيم بن محمد الميلي ، ويوسف بن الجزيري الجراوي ،و عبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي القاضي "[6]ومسجد النطاعين ومسجد سيدي عبد الحق الأزدي الإشبيلي دفين بجاية من القرن (6هـ ـ12م) ، وهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل بها محراب و لا يحوي على مئذنة ، تؤدي به الصلاة و تدريس الطلاب .[7]

كما وجد مسجد بالقرب من بجاية بالضبط بمنطقة ملالة وهو مسجد سيدي يحي، ربما يكون الفقيه يحي أبي زكرياء الزواوي المتوفى سنة 611هـ ، لكن هذا المسجد لم يبق منه سوى آثار محرابه .[8]

---

[1] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 07

[2] وصف افريقيا ، حسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف ليون الافريقي ، تح : محمد حجي ، محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت لبنان ، 1983 ، ج 2 ،ص 50

[3] الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ، رشيد بروبية ،ص23 ـ34

[4] عنوان الدراية ، الغبريني،ص 25

[5] ابن تومرت ، رشيد بورويبة ، تح : عبد الحميد حاجيات ، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط) ، الجزائر ، 1982،ص41

[6] المعجب في تلخيص اخبار المغرب ، المراكشي ، ص 179 ـ180

[7] المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها ، عبد الكريم مزوق ، (دراسة اثرية) ، رسالة دكتوراه ، 2007 ـ 2008 م ،ص 20

[8] المرجع نفسه، ص 20ـ21

أيضا جامع القصبة ، ذكر لنا ابن خلدون في مقدمته من أن جميع أنواع العلوم و المعارف و الفنون و الصناعات ، إما كانت تدرس بالمساجد ، و الذي تلقاها هو نفسه في المساجد ، وقد باشر رحمه الله بتريس طلبة العلم بجامع القصبة في بجاية على عهد ولايته لأمراء هذه الدولة (الدولة الحفصية).[1]

2.2/ الكتاتيب :

تعد الكتاتيب من أسبق أنواع المعاهد العلمية وجودا في العالم الاسلامي ، بدأ تأسيس الكتاب في النصف الأول من القرن الأول ، وذلك بعد الفتح الإسلامي للبلاد المغرب حيث رتب الولاة الفقهاء القراء يعلمون النشيء تعاليم الدين و القرآن الكريم ،ومنذ ذلك أصبحت تتكاثر تكاثرا سريعا .[2]

كما كان الكتاب في عهد الفاتحين عبارة عن خيمة تضرب مع خيام الجيش ، إذ كان الجند يصحب معه خطباءه و شعراءه ومعلميه ، وكان الولاة يأتون من الجزيرة العربية مصحوبين بأدباء لإنشاء الرسائل وتعليم الناس الدين و الفقه و الأدب .[3]

و الكتاتيب القرآنية عبارة عن حجرات صغيرة مجاورة للمساجد تخصص لتعليم الصبيان الصغار ، بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة ،لأن الإمام مالك ـــ رضي الله عنه ـــ أفتى بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها.[4]

وكان الكتاب يقوم بالدرجة الأولى على تحفيظ القرآن الكريم ، ولذلك عرف إقبالا كبيرا ، إذ كان سكان المغرب الأوسط و الأندلس شديدي الحرص على تحفيظ

---

[1] المقدمة ، ابن خلدون ، ج6، ص 408 ـ 411

[2] الانتاج الفكري في الثغر الادنى الأندلسي خلال القرن 7 و 8 هجريين ، رشيد يحياوي ، شهادة ماجيستير في تاريخ المغرب الاسلامي ، قسم تاريخ ، تلمسان ، 2009 ـ 2010 ص

[3] تاريخ الأدب الجزائري ، محمد الطمار ،ط : عبد الجليل مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006 ، ص 63

[4] كتاب آداب المعلمين ، محمد بن سحنون ،ط ط : محمود عبد المولى ، الشركة الوطنية ، ط2، الجزائر ، 1981 ،ص 87

القرآن الكريم لأولادهم على غرار باقي المسلمين [1] ، وذلك نظرا لما ورد من الترغيب في ذلك من النصوص الشرعية كقوله تعالى : {لَو أَنزَلنَا هَذَا القُرآن عَلَى جَبَل لَرَأَيتَهُ خَاشعًا مُتَصَدعًا من خَشيَة الله وَتلكَ الأَمثَالُ نَضربُهَا للنَاس لَعَلهُم يَتَفَكَرُونَ}.[2]

وقوله صلى الله عليه و سلم " كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قسمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله "[3] بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم ، كان الصبيان يتعلمون القراءة و الكتابة إلى جانب الحساب و السنن و الفرائض و الأدب و اللغة و تفسير الغريب من القرآن تفسيرا موجزا ، إضافة إلى أن طريقة ترتيله و تجويده ،[4] مستعملين في ذلك لوحا مصقولا ودواة للحبر وقلما من قصب ، وإناء يمحون فيه ألواحهم ، وغير ذلك مما يعد ضروريا لإعداد الطلاب إلى مرحلة أعلى من التعليم .[5]

و الملاحظ أن تعليم القرآن في الكتاب للصبيان بأرض المغرب هذا كان يدرس في الألواح بخلاف أهل بلاد الأندلس فإنهم كانوا يقرأونه في المصاحف .[6]

وتبدأ تلك المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة و السادسة من عمره [7]

ورغم بساطة الكتاتيب من حيث البناء و التجهيزات ،لكن مع ذلك عرفت مستوى رفيعا من التنظيم ، فكانت تسند مهمة التدريس بها لقراء كبار [8] مقابل أجرة معينة اختلف في جوازها من عدمها في تلك الفترة .[1]

---

[1] المصدر نفسه : ص 82

[2] سورة الحشر ، الآية 21

[3] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) أبو عبد الله بن فرح القرطبي ، مكتبة رحاب ، ط 4 ، الجزائر ،1990 م1 ،ص 52ـ54

[4] جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، كمال أبو مصطفى ، ص 113

[5] نفسه ص 114 .

[6] تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ، ص 75 .

[7] جوانب من حضارة المغرب الاسلامي ، كمال أبو مصطفى ، ص 113 .

[8] نفسه ص 114 .

وكان يشترط في المعلم عدة شروط ، حتى يكون أهلا لمباشرة مهنة التعليم في الكتاب ، كمعرفة الإظهار و الإدغام و الاهمال و الإعجام و التفخيم و الترقيق و أحكام القرآن .[2]

و الكتاب كمؤسسة أولى تربوية أدت دورها في التربية و التعليم في جميع العصور ، وكانت بمثابة المدارس الابتدائية اليوم خاصة بالتعليم الابتدائي .

وقد حرص أهالي بجاية على تعلم القرآن الكريم ، وتلقينه لأبنائهم ، كما اهتموا ببنائها ، وكان أبناء بجاية يتعلمون التعليم الأولى بالكتاب ثم ينتقلون إلى الزوايا و المساجد لإتمام التعليم في شتى العلوم على يد كبار المشايخ.[3]

2. 3 / المدارس :

وهي منشآت الثقافية المستحدثة في العالم الإسلامي لم تعرف باسمها الا في أواخر العهد الموحدي أو في بداية عهد الدول الثلاث ، وقد كانت منشرة في الحواضر الكبرى . وأول مدرسة بنيت في العالم الإسلامي هي المدرسة البيهقية بنيسابور أوائل القرن 5هـ/11م . وبعدها قام الوزير السلقوجي قوام الدين الطوسي ببناء المدرسة النظامية ببغداد 457 هـ/1065م [4]أما ببلاد المغرب الإسلامي فإن جل المدارس التي أنشأها بنو حفص أو المرينيون أو الزيانيون ، كانت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وقد كانت شبيهة بالمدارس الشرقية كالمدرسة النظامية ببغداد و على نمط

---

[1] نفسه 115 .

[2] كتاب آداب المعلمين ، محمد بن سحنون ، ص 82 .

[3] موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، بوعزيز يحي ، ص 199.

[4] الاعتبار في ذكر الخطط و الآثار (المعروف بالخطط المقريزية) تقي الدين المقريزي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1987 ، ج 2، ص 363.

مدارس دمشق وحلب و نيسابور ، لها غاية معينة أنشئت من أجلها وهي القضاء على العقائد التومرتية الموحدية.[1]

ويعد الحفصيون السباقين في استثناء المدارس ببلدان المغرب ، فقد أنشأ أبو زكرياء الحفصي المدرسة الشماعية :أسست (633هـ/647هـ)(1235م ـ1249)و المدرسة التوفيقية شرع في بنائها سنة 650هـ/1252م ، ومولت بنائها السيدة عطف أرملة أبي زكريا يحي الأول الحفصي ووالدة خليفته أبي عبد الله محمد المنتصر الحفصي.[2]

مدرسة ابن تافرجين : أسست هذه المدرسة سنة 766هـ/1364م وسميت بهذا الاسم لأن الشيخ "يا محمد عبد الله بن تافرجين عندما توفي في هذا التاريخ دفن بالمدرسة الكائنة يقنطرة بني ساكن داخل باب السويقية .[3]

وقد عرفت المدارس ببلاد المغرب عامة النظام الداخلي ، فكانت تشتمل على غرف لسكني الطلاب الغرباء و للراحة في اوقات الفراغ ولخزن الأمتعة ، كما زودت بمرافق المياه ، كالمراحيض و الحمامات .[4]

أما السنن التي كانت مخصصة لسكني المدارس وهي ست عشرة سنة حسب ما ذكره ابن خلدون ، وعشرين سنة فما فوقها ضمن احدى فتاوى الونشريسي[5]

ومن هنا فإن اهتمام سلاطين الدول الثلاث (منهم الحفصيون) بتشييد المدارس دلالة على الاهتمام المتزايد لأولى الأمر بالعلم و ذويه فقد شجعوا الحركة العلمية و الأدبية وقادوها إلى ذلك التطور الفكري و الحضاري .

---

[1] أدب الرسائل في المغرب العربي ، طاهر محمد توات ،(د.ط) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1990، ص 13 ـ 14 ، الحلل السندسية ، ص 1026 ـ 1027

[2] المغرب العربي في العصر الاسلامي ، العبدوسي ، ص 562 .

[3] تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، للزركشي (ابن عبد الله محمد بن ابراهيم) المكتبة العتيقة ، تونس ، (د.ت) ، ص 101

[4] جوانب من حضارة المغرب الاسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، كمال أبو مصطفى ، ص 117

[5] المقدمة ، ابن خلدون ، ص 479 جوانب من حضارة المغرب الاسلامي ، المرجع نفسه ص 171

أما في بجاية فقد اكتفت بالدور الذي تقوم به زواياها و مساجدها الجامعة ، ومع مطلع القرن (8 هـ/ 14م)عرفت المدارس انتشارا واسعا ، فتلمسان احدى مدن المغرب الاسلامي كانت بها مجموعة من المدارس ، كمدرسة التاشفينية و مدرسة العباد وغيرها.[1]

2ـ4 / الزويا:

إلى جانب انتشار الكتاتيب في كافة أنحاء المغرب الأوسط و الأدنى وجدت الزوايا، وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية لتحفيظ القرآن الكريم و التعليم و لإقامة الطلبة و عابري السبيل ، كما كانت أماكن لإقامة الصلاة و كان ينشئها أهل الخير ورجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة ، أو يشترك جماعة في إنشائها و يوقفون عليها أوقافا لتغطية نفقاتها ، وتوكل إدارتها إلى ناظر و جماعة من المساعدين.[2]

وقد لعبت الزوايا دورا فعالا في التوعية الدينية و الفكرية لدى المجتمع البجائي ، كما اتسمت الزوايا بأدوار اخرى إلى جانب التعليم الديني ، وتحفيظ القرآن الكريم ونشره ،

كعملها على نشر اللغة العربية ، أو في إنهاء بعض الخلافات الداخلية ، كما تخرج منها فقهاء و علماء الذين ساهموا في نشر الإسلام إلى بلاد السودان[3].

لم تعرف الزوايا في شمال إفريقيا الإ في القرن (5هـ /11م) ، فل اقتصرت على إيواء الواردين و عابري السبيل و المحتاجين للطعام في أول الأمر ، أما معا مطلع القرن (6هـ /12م) عرفت نظاما خاصا ، وأسس جديدة، ومنذ القرن (7هـ / 13م)

[1] للمزيد من المعلومات حول مدارس تلمسان ، ينظر : بنية الرواد ، يحي بن خلدون.

[2] الهجرة الاندلسية الى المغرب الادنى ، مريم بوعامر ، ص 69

[3] المعالم الاثرية لبجاية ونواحيها ، عبد الكريم عزوق ، ص 88

وبعد انتشار الصوفية في جماعات أصبحت الزوايا المكان المفضل للعبادة ، وأضحى لهـــا دور هام في الحياة العلمية و حركة التصوف في المغرب العربي.[1]

فبجاية انتشرت بها هي أيضا الزوايا ، من بين هذه الزوايا نذكر زاوية سيدي موسى أو يحي بدائرة سيدي عيش ، تأسست ما بين القـــرنين 6 و 7 هجـــريين ، وزاوية سيدي الحاج حساين ، بنفس الدائرة تأسست عام 770 هـــ ، لكن معظم الزوايا اغلقت إبان فترة الاستعمار الفرنسي بسبب دورها النهضوي و التثقيفي لسكان بجاية ، وبعد الاستقلال استانفت نشاطاتها وواصلت مسيرتها الدينية حتى يومنا هذا .[2]

[1] تلمسان في العهد الزياني ، فيلالي عبد العزيز ، ص 97

[2] المعالم الاثرية ببجاية ونواحيها ، نفسه ص 88.

3 ــ التعليم: أنواعه ومراحله

لقد مر التعليم ببلاد المغرب بمراحل عديدة منذ الفتح الإسلامي لها، وتميز بصنفين أساسيين هما:

1.3 – أنواع التعليم:

أ.التعليم الشعبي العام:

إن بداية التعليم ببلاد المغرب وبواديه أقرب إلى التربية بمفردها العام، وهي التنشئة الاجتماعية لأهل المدن وإدماجهم في المجتمع الإسلامي بقيمه وأخلاقه وعاداته وتقاليده، ساهمت فيها مختلف المؤسسات الاجتماعية والتربوية والدينية مثل الكتاب، الرباط.

وكانت مظاهر التعليم في البداية تتجلى في شرح الآيات القرآنية وتفسيرها، وقد تطور هذا التعليم إلى أن تفرعت عنه بعض الأشكال التعليمية، وأصبحت لهذا التعليم مناصب دينية وإدارية واجتماعية فيما بعد مثل الإمامة والقضاء والفتيا والحسبة[1].

فالمقصود بالتعليم الشعبي العام عكس التعليم الاحترافي الصناعي الذي ذكره ابن خلدون[2].

يتوجه هذا النوع من التعليم إلى جميع المسلمين فهو إجباري على كل الناس حتى يندمجوا في المجتمع الإسلامي، وهذا ما دفع الدولة إلى التدخل في كثير من الأحيان في هذا النوع من التعليم حتى تعمل على نشره بين طبقات المجتمع وتخلق التوازن والانسجام في سلوك المجتمع[3].

فقد أجمع الفقهاء على أن الدولة ملزمة على تعليم المجتمع، يرى ابن خلدون "بأن الخليفة مأمور بتبليغ التكاليف الشرعية وحمل الناس عليها"[4].

[1] - ينظر: تلمسان في العهد الزياني، فيلالي عبد العزيز، ص 338-339
[2] - المقدمة، ابن خلدون ، ص 48-49
[3] - تلمسان في العهد الزياني، المرجع نفسه، ص 340
[4] - المقدمة، ابن خلون ، ص 49-50

وقد اهتم الحكام المسلمون بهذا النوع من التعليم منذ الفتح الإسلامي وعصر الولاة في بلاد المغرب، ثم في عهد الأدارسة والأغالبة والرستميين، إلا أنه ظهر بصورة بارزة في عهد المرابطين وذلك بسبب نقص نشاط التعليم العام في هذه المنطقة الصحراوية[1]، وفي عهد الموحدين ازدهر هذا النوع من التعليم ازدهارا كبيرا في بلاد المغرب، لأن الحركة التي قام بها الموحدون هي ثورة إصلاحية دينية شاملة فيها آراء حزمية[2]، وصوفية غزالية[3]، ونزعة شيعية[4].

ألف ابن تومرت مؤلفا يدرسه الأتباع والمؤيدون توخى فيه التبسيط والتسهيل حتى يتمكن الناس من فهمه، وهو كتاب "التوحيد"، قسمه إلى سبعة أجزاء بحسب أيام الأسبوع.

استخدم عدة طرق لعملية التحفيظ، كما تم تقسيم الدراسين إلى أفواج وسن لهم قراءة الحزب القرآني كل صباح ومساء، وعمم هذه الطريقة يوسف عبد المؤمن على جميع بلاد المغرب.

وقد اهتم الموحدون بنشر المؤسسات وتعميمها بهدف بث عقائد ابن تومرت أو إصلاحه الديني بين طبقات الشعبية، فقد عمم عبد المؤمن بن علي الكتاتيب بل جعل التعليم إجباريا مجانيا، إن الرجوع إلى القرآن والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي أيضا من العقائد التومرتية، وقد انتظم التعليم الشعبي في عهد الموحدين وصارت الدروس تلقى بانتظام كل يوم، ويبدو أن دروس الوعظ قبل القرن 7هـ كانت دروسا تطوعية، وقد تقدم الوعظ خاصة خلال القرن السابق هجري تقدما ملحوظا[5].

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني، فيلالي عبد العزيز، ص 340

[2]- ابن حزم صاحب المذهب الظاهري المعتمد على حرية الاجتهاد في مسائل الفقه بشرط أن يستند إلا حجج القرآن والسنة.المرجع نفسه ،ص340

[3]- الإمام الغزالي هو أبو حامد (الغزالي) بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد سنة 450هـ بقرية طوس بالعراق وتوفي 508هـ، ينظر: أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، راجعه محمد سعيد محمد، دار البيان العربي، ط1، 2005، م1، ص 4-6

[4]- الأشاعرة: فرقة إسلامية مؤسسها أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 935م) ومذهبه هو الذي الهم المصلح ابن تومرت، مهدي الموحدين في المغرب، انبثق هذا المذهب عن المعتزلة، وكانت بينهما خلافات واختلافات في مسائل عديدة منها: حرية الإرادة، ذات الله وصفاته، خلق القرآن،...، ينظر: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ألفرد بل، ت: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987، 124، تاريخ الفلسفة العربية، حنا الفاخوري، خليل الجر، دار الجيل، ط3، بيروت، 1993، ج1، ص 140-176

[5]- ينظر، أدب الرسائل في المغرب العربي خلال القرن 7هـ، أحمد محمد توات، ص 11-12، تلمسان في العهد الزياني، فيلالي عبد العزيز، ص 340- 341

أثر التعليم العام على تنظيم الدروس في شكل حلقات ومجالس تعقد في المساجد يحضرها من يرغب من الناس مهما كانت مستوياتهم وأعمارهم، و لم تظهر الدروس الخاصة إلا مع ظهور المدارس.

وقد ساهم رجال التعليم في المغرب مساهمة كبيرة في التغيرات الفكرية السياسية، فالدولة المرابطية أقامها رجال مارسوا التدريس والتعليم العام مثل: عبد الله بن ياسين أو الدولة الموحدية،...[1].

ب.التعليم الإحترافي:

إن التعليم الإحترافي هو ذلك التعليم الموجه إلى النشىء الذين تتراوح أعمارهم ما بين سبع سنوات وعشرين سنة، في الغالب يعتمد في تلقينه على اللغة العربية الفصيحة.

يختلف التعليم الشعبي العام الذي ظهر مع ظهور الدعوة الإسلامية من حيث الأصول الاجتماعية،و الإطارات الساهرة عليها، فقد تولى هذه المهمة إبان الدعوة وفي عهد الفتوحات جماعة من العرب تنتمي إلى القبائل ذات عصبية بينما اتخذ من مهنة التعليم الاحترافي فئات اجتماعية متباينة[2].

2.3- مراحل التعليم:

يعد التعليم من العوامل الأساسية التي تساهم في دفع عجلة الحركة الفكرية نحو التقدم وترقية العلوم والآداب ونشر ثقافة العلم، وكان التعليم في مختلف دويلات المغرب المغرب الإسلامي يمر بمرحلتين :

1.2.3 / التعليم الإبتدائي:

يشكل المرحلة الأساسية من التعليم، ففي هذه المرحلة يعد التلاميذ للمراحل الأخرى وفيها يتبين مدى قدرة الطالب على التحصيل العلمي ويُعرف على طرق تلقينه للعلم[3].

---

[1]- ينظر، تلمسان في العهد الزياني، المرجع نفسه، ص 342-343
[2]- ينظر: نفسه ، ص 344
[3]- آداب المعلمين، محمد بن سحنون ، ص 80

ولعل السن المفضلة لدخول الطفل إلى الكتاب وبدايته المرحلة الابتدائية هو سن السابعة[1].

أما منهجية التعليم الابتدائي فكانت تقوم على حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة، فكان المعلم ملزما بتحفيظ القرآن للتلاميذ والهجاء والشكل والخط الحسن والقراءة الحسنة والترتيل وإعراب القرآن الكريم، وكان على التلاميذ استظهار ما حفظه أمام معلمه في كل عشية يوم الأربعاء والخميس ولا يمكنه الانتقال من سورة إلى أخرى حتى يحفظها ويكتبها ويعربها[2].

وهناك من المواد من كان التلميذ يتعلمها بناء على الاتفاق بين ولي أمره والمعلم ومن بينها: الحساب وإتقان الخط والنحو واللغة العربية والشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها[3].

ويشير ابن خلدون إلى منهجية التعليم عند الحفصيين بقوله: "...وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن الكريم بالحديث في الغالب، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه..."[4]، وبجاية كانت تابعة لإفريقية في سياستها واتجاهاتها العلمية[5].

ومما يلحظ على مناهج التعليم الابتدائي عند الحفصيين أنها كانت تقوم على حفظ القرآن الكريم مع تعلم الحديث وأساسيات العلم، إلا أنه ارتكز على حفظ القرآن الكريم باختلاف رواياته وقراءاته ثم الخط، فكانت بذلك أقرب إلى الذي كان منها في الأندلس

[1]- تلمسان في العهد الزياني، عبد العزيز فيلالي ، ص 344
[2]- كتاب آداب المعلمين، محمد بن سحنون ، ص82-83
[3]- المصدر نفسه، ص 82
[4]- المقدمة، ابن خلدون ، ص 1039-1010
[5]- عنوان الدراية، الغبريني ، ص 24

منه إلى منهج آخر في بلاد المغرب، والسبب في ذلك يعود إلى هجرة العديد من مشيخة وعلماء الأندلس نحو بجاية واستقراراهم بها، ناشرين معارفهم ومناهجهم التعليمية[1].

فالمذهب التونسي كان وسطا بين المذهبين الأندلسي والمغربي وهو يعتبر القرآن وحدة مستقلة وحفظه وتجويده غاية في نفسها، والحفظ وسيلة لا غاية، وهذا ما نتج عنه عدم التحكم في ملكة اللغة وإجادة فنونها وأساليبها عكس أهل الأندلس الذين كانوا أحسن استعدادا للإمساك بزمام اللسان العربي لأنهم استفادوا من التفنن في التعليم الابتدائي برواية الشعر والترسل في دراسة قواعد اللغة العربية منذ الصبا[2].

كما يستخلص أن طريقة التعليم كانت مرنة مقارنة بالتعليم في المغرب الأقصى، كما كانت أكثر صرامة وأكثر حرية في الأندلس.

ويرى ابن خلدون أن تلقين العلوم لا يكون مفيدا إلا إذا كان بالتدريج، ولذلك يجب أن يقسم برنامج التعليم إلى ثلاثة مراحل:

(الدور الأول) تلقين أصول الفن مع مراعاة عقل التلميذ واستعداده، فالطريقة المثلى في نظره هي أن نقيم وزنا لعقل التلميذ وقدرته واستساغته المبادئ التعليمية التي يراد

تلقينها، وبعد حصول الملكة الجزئية يصل إلى (الدور الثاني) حيث يستأنف النظر في الفن نفسه ويحسن أن يخرج بالتلميذ من الإجمال إلى التفصيل، وبعدها ينتقل إلى (الدور الثالث) حيث يعود إلى الفن نفسه، فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا مغلقا إلا وضحه، وعندئذ لا يخلص التلميذ من الفنون إلا وقد استولى على ملكته[3].

---

[1]- المقدمة، ابن خلدون ، ص 1040، الهجرة الأندلسية على المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري ما بين القرنين 7 و9هـ/13-15م، مريم بوعامر، ص 64

[2]- الحضارة الإسلامية في المغرب، الحسن السائح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، 1986، ص 213-214، المقدمة: ابن خلدون، ص 1040-1041

[3]- المقدمة، المصدر نفسه، ص 1042-1043

2.2.3- التعليم العالي (الثانوي):

بعد الانتهاء من مرحلة التعليم الابتدائي يتم الانتقال إلى مرحلة أكثر تطورا و شمولية للعلوم هي مرحلة التعليم العالي أو الثانوي، تتسم هذه المرحلة بحرية الطالب في اختيار المواد التعليمية انطلاقا من استعداداته وطاقته الفكرية، كما كان له مطلق الاختيار للأساتذة الذين سيتتلمذون عليه في أية مادة من المواد التي يريدونها[1].

وقد كانت طريقة التعليم العالي قديما تعتمد على "طريقة النقل" المتمثلة في النقل الشفاهي للنصوص عن طريق السرد من طرف الشيخ أمام تلاميذه[2]، ثم مع بداية القرن الرابع الهجري (10م) اندمجت طريقة جديدة مع الطريقة القديمة وهي "طريقة الإلقاء" وتتمثل في إلقاء الشيخ بعض الأسئلة على التلاميذ ومناقشة المواضيع المطروحة في آن واحد من طرف التلاميذ وشيوخهم[3].

ومع منتصف القرن السابع هجري طرأت تطورات على طرق التعليم العالي خاصة في زمن ابن زيتون وأبي عبد الله شعيب[4]، وزاد القاضي ابن عبد السلام في تطويرها، وأثناء عرض ابن خلدون ملاحظاته لأساتذة التربية والتعيم في تاريخ المغرب، يذكر أبو القاسم ابن زيتون في أواسط المائة السابعة الذي نقل أسلوب التعليم في الشرق إلى تونس، وبعده أبو عبد الله بن شعيب الدكالي الذي نقل الأسلوب الشرقي إلى تونس[5]، وتقوم هذه الطريقة على البحث والتحليل وإعطاء التفكير أهمية كبيرة دون جعل التعليم يقتصر على الحفظ[6]، وقد انتقد ابن خلدون بشدة طريقة التعليم بفاس والتي قوامها حفظ النصوص وإبقاؤها على ما هي عليه.

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني، فيلالي عبد العزيز ، ص 347
[2]- الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى، مريم بوعامر ، ص 66
[3]- نفسه، ص 66-67
[4]- فقيه ومتصوف أصله من هسكورة من المغرب، ولي بلدة القيروان، لكنه عزل وبقي عاكفا على العلم والعمل إلى أن توفي، ينظر: عنوان الدراية،الغبريني، ص 173-174
[5]- المقدمة، ابن خلدون ، ص 590
[6]- الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى، المرجع نفسه، ص 67

وإلى جانب ذلك اشتهرت طريقة أخرى في التعليم وهي "طريقة ناصر الدين المشدالي" والتي كانت طريقة علمية ذات فعالية في التدريس والبحث، وقد تميزت هذه الطريقة باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة والتعميق في البحث والتعليل في أصول الفقه وأصول الدين واستغلال الجدل في البحث والمناظرات[1].

وقد انتشرت هذه الطريقة خاصة في بجاية وساعد انتشارها على تنشيط الأبحاث الفقهية النظرية والدراسات العقلية المنطقية والذين تأثروا بها أصبحوا يميلون على الاجتهاد في الفروع وتخريج المسائل[2].

وقد أشاد الغبريني بها فقال: "دروسه حسنة منقحة وله عبارة جيدة وهو كثير البحث ومحبته في النقل"[3].

لكن الأمر يختلف شيئا ما في العلوم الفلسفية والعلمية البحتة فهي تدرس على طريقتين: طريقة الأقدمين كأبي نصر الفارابي وغيره وطريقة المتأخرين أمثال محي الدين بن عربي وغيره، وعلى طريقة الأوسطين كابن سينا وغيره[4].

ومن خلال هذه الإطلالة الوجيزة على مناهج التحصيل العلمي نجدهم يستعملون كافة المناهج في التدريس حتى يتسنى للطالب الوقوف على المفارقات الفكرية وكيفية تطورها أو تراجعها، كما أن اختلاف التعليم يدل على وعي باختلاف مناهج المدارس الفكرية، كما أنها تصبو وتهدف إلى تكوين أجيال تتوفر فيهم لوازم الإتقان وشروط العلم.

وممن انتقد طريقة التعليم القديمة العالم الشهير ابن عرفة[1]، فقد كان يطالب الشيوخ والكتاب على حد سواء بشيء من التجديد، فتقدم الدراسات الحسية مرهون بتعميق

[1]- الحضارة الإسلامية في المغرب، حسن السائح ، ص 215
[2]- موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الشرق، مختار حساني، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ج3، ص 217
[3]- عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 201
[4]- المصدر نفسه، ص 100-112

النظريات التي يتلقاها الدارس، وذلك من خلال تسليط الضوء على بعض النقاط الغامضة وإثارة بعض الإشكاليات الجديدة[2].

ولعل أفضل طريقة للتعليم حسب ابن خلدون هي التي تستوجب التدرج على مراحل توخيا للعمق والإتقان فيشرع الأستاذ في إلقاء الخطوط العامة المراد تعلمها فصلا فصلا ثم يشرع في شرحها مع مراعاة الاستعدادات الفكرية للمتعلم لكن تتكون لديه ملكة مبدئية حول ذلك العلم ثم يعود الأستاذ ويتناوله بعمق فيشرع في التعليق والشرح والمقارنة يبين الاختلافات في كل الآراء الواردة فيلم الطالب بالجمل والمفصل والمختلف حوله فتتكون لديه القدرة على المناقشة والتحليل، ثم يعود الأستاذ ثالثة فيتأكد مما تعلمه طلبته ويتفقد أي غموض ويزيله بالتوضيح[3].

أما العلوم التي تم التركيز عليها في مجال الدراسة: القرآن والحديث وما يوصل لفهمها[4]، فكانت إحدى العوامل في تحديد المقرر الدراسي أهمية المادة من حيث الصعوبة والسهولة، إذ كان الطلاب يضعون نصب أعينهم طموحاتهم وظروفهم ويختارون المادة التي توفر لهم العمل، فكان أغلب الطلاب يتجهون لدراسة الفقه، لأن الفقهاء يحثون على دراسته، وأن هناك بعض الأقوال المأثورة والأبيات الشعرية في مدح الفقه، يقول الونشريسي (1508/904): "من لا يعرف الفقه لا يعرف غيره".

أما دراسة "علم الحديث" فإنها تستغرق عدة سنوات إذا ما قورنت بالمدة التي تستغرقها دراسة الفقه، كما أنه يتطلب الدراية بالنحو واللغة وعلم الأصول في الفقه والكلام، والرحلة لجمع الأسانيد[5].

---

[1]- هو محمد ابن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، برع في الأصول والفروع والعربية والمعاني والبيان والفرائض والحساب، ولم يكن بالمغرب من يجري مجراه بالتحقيق، توفي سنة 803 هـ، وولد في 710هـ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الوزير السراج ، ج1، القسم 3، ص 579

[2]- الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري، مريم بوعامر، ص 67-68

[3]- المقدمة، ابن خلدون ، ص 583-584

[4]- تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي ، ص 384

[5]- تلمسان في العهد الزياني، فيلالي عبد العزيز، ج2، ص 347-348

أما علم الأصول فهو متوسط الحال لا يقبلون عليه بلهفة ورغبة بخلاف النحـــو الذي يهتمون بدراسته كثيرا، ويدرسون مذاهبه وكتبه القديمة ويحفظون مذاهب، وهـــو علم لا يستغني عنه ما لم ولا يجوز أن يخوض في غيره من المعارف إلا إذا برز فيه[1].

[1]- الحضارة الإسلامية في المغرب، حسن السائح ، ص 217

الفصل الثاني :

أصناف العلوم ومشاهير العلماء .

1 ــ العلوم الدينية :

تتكون هذه العلوم من علمي القراءات و التفسير و التي موضوعها القرآن الكريم، وعلم الحديث ، واستنباط الأحكام الفقهية .

1.1: علم القرآن :

القرآن الكريم هو كلام الله المترل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو مصدر الأول للإسلام ، الناظم لشؤون المسلمين الدينية و المدنية .[1] أما علم القرآن فهو يشتمل على علمين أساسيين :

1.1.1/ علم القراءات :

أولا: القراءات في اللغة : جمع قراءة في اللغة : مشتقة من مادة (ق ر ا) ، وهي مصدر للفعل قراء ، يقال : قرأ يقرأ قرآن وقراءة ، فكل منهما مصدر للفعل ، وهو على وزن فعالة ، وهذا اللفظ يستعمل للمعاني التالية :

1ــ الجمع و الضم : أي جمع وضم الشيء إلى بعضه ، ومنه قولهم :" وما قرأت الناقة جنينا " أي تضم رحمها على ولد ، أو ما جمعت أو ضمت في رحمها جنين.

2ــ التلاوة : هي النطق بالكلمات المكتوبة ، ومنه قولهم :" قرأت الكتاب أي تلوته ، وسميت التلاوة قراءة لأنها ضم لأصوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات .[2]

ثانيا : القراءات اصطلاحا : لعلماء القراءات تعريفات متعددة منها :

1 ــ تعريف ابن الجزري : (ت 833 هـ) :

" القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو ناقله"

2ــ تعريف شهاب الدين القسطلاني : (ت 923هـ):

---

[1] المقدمة ، ابن خلدون ، ص 774

[2] ينظر : المعجم الوسيط ، مادة (ق را) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة (ق را) ، لسان العرب مادة (ق را).

عرفه بأنه علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة و الإعراب ، و الحذف و الإثبات ، و التحريك و الإسكان ، و الفصل و الاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق و الابدال من حيث السماع ".

وقال : "علم يعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة و الإعراب و الحذف و الاثبات و الفصل و الوصل من حيث النقل ."

أو يقال :" علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها معزوا لناقلته ".

3ـ فالقراءات هي "تلك الوجوه اللغوية و الصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيرا وتخفيفا على العبادة ."[1]

أما رواية القرآن الكريم وقراءته بالمغرب فانه كان يتلى بقراءة الامام حمزة بن حبيب ، إلى أن رحل ابن خلدون الأندلسي إلى المشرق في صدر المائة الرابعة فعاد قانون وورش عن نافع فانتشرت هذه القراءة أيضا بين الناس بعد أن كان لا يقرأ بها إلا الخواص ، وجاء في مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده قال :" إنما وقع الاختصار في المغرب على قراءة نافع لاختيار مالك قراءته ، وسمعت من بعض فضلاء المغاربة أنهم اختاروا ذلك ليكون فقههم فقه عالم المدينة و قراءتهم قراءة قارئ المدينة ."

2.1.1/ علم التفسير :

يعتبر علم التفسير من أجل علوم الشريعة و أرفعها قدرا وهو أشرف الأمور موضوعا وغرضا . والتفسير هو بيان معاني آيات القرآن الكريم وأحكامها و أوجه دلالاتها على العقيدة و الأخلاق و المعاملات .[2]

---

[1] القراءات القرآنية : نشأتها ، اقسامها ، حجيتها ، خير الدين سيب ، دار الخلدونية ، الجزائر ، 2005 ، ص 17ـ18 ، علم القراءات : مضمونه ، نشأته ، مصدره ، اقسامه ، مدارسه ، منصوري كافي ، دار العلوم ، النمر ، 2008 ، ص 7،9.

[2] الحضارة الاسلامية ـ دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية ، طه عبد المقصود عبد الحميد ابو عبية ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ـ لبنان ، 2004 ، م 1، ص 23

وقد اهتم علماء المغرب الأوسط بصفة عامة اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم وعلومه ، وقد برز العديد منهم في هذا المجال .

كانت منابع دراسة تفسير القرآن : كتاب الكشاف للزمخشري و أحكام القران لأبي الحسن علي بن محمد الطبري ، و الكشف و البيان عن تفسير القران لأبي اسحاق أحمد الثعلبي و التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس المهدوي ، و الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لابن عطية المحاربي الغرناطي[1].

2.1/ علم الحديث :

الحديث و السنة هو كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، فالحديث يشير إلى القول و السنة إلى العمل أو السكون عن العمل ، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي ، بعد القرآن الكريم .[2]

وقد اهتم علماء المغرب الأوسط بعلم الحديث ، فقد كانت تعقد حلقات متعددة لدراسة الحديث و علوم ، معتمدين على عدة كتب أهمها :

الموطأ للإمام مالك (ت 179هـ) ، صحيح البخاري لأبي عبد الله البخاري ، (ت 256هـ/870م) ، صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج (ت 261هـ) ، سنن أبي داود لأبي داود السجستاني (ت 275هـ) جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ)، جامع النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (303 هـ) ، كتاب التمهيد و الإستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (462هـ)، المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت 474هـ)، المختار

---

[1] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص25–26 ، تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن جيلالي،ج2 ،ص76.

[2] المقدمة ، لابن خلدون ، ص 789 ، تلمسان في العهد الزياني ، جيلالي عبد العزيز ، ص 440

الجامع بين المنتقى و الاسنذكار لابي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني.[1]

وكان بعض المحدثين يقولون للطلاب الذين يأتون يسألون الرواية :

أهلا وسهلا بالذين احبهم وأَوَد رُأيتهم ذوي الإيلاء .

أهلا بقوم صالحين ذو تقى خير الرجال وزين كل ملاء .

يسعون في طلب الحديث بعفة وتوقر وسكينة وحياء .

لهم المهابة و الجلالة و التقى وفضائل جلت عن الاحصاء .

ومداد ما تجري به أقلامهم أزكى و أفضل من دم الشهداء .

ياطالبي علم النبي محمد ما أنتم وسواكم بسواء .[2]

3.1ـ الفقه :

الفقه لغة : هو الفهم ، مصداقا لقوله تعالى :{ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا}[3]أي لاتَفهَمُون ، وقيل الفقه هو معرفة الأشياء الدقيقة .

واصطلاحا :" هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الإجتهاد[4] وعرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله :" هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، بالوجوب ، و الحظر ،والندب ، والكراهية ، والإباحة وهي منتقاة من الكتاب و السنة ، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه ."[5]

---

[1] عنوان الدراية ، لأحمد الغبريني ،ص 26.

[2] الوفيات ، ابن قنفد القسنطيني ، جمع و تعليق هنري بيرس ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ،(د ت) ، ص 06

[3] سورة الاسراء ، الاية 44

[4] الحضارة الاسلامية ، طه عبد المقصود عبد الحميد ابو عبية ، ص 128.

[5] المقدمة ، ابن خلدون ، ص 798

وهو يواجه جميع المسائل التي تواجه الانسان في حياته ، فيبحث في الفرائض الدينية و الأحوال الشخصية و المعاملات الاجتماعية و الاقتصادية ، أما أهم أصوله ، فهو القرآن الكريم و السنة النبوية ، إضافة إلى الإجماع و القياس .[1]

وقد اشتهرت عدة مذاهب في الفقه ، منها مذهب الإمام مالك ، المذهب المعتمد و المشهور ببلاد المغرب الاسلامي ، والذي لقي اهتماما و إقبالا كبيرين من قبل أهله ، كما لقي كتبه و هو ـــ الموطأ ـــ اهتماما كبيرا من قبل علماء المغرب الاسلامي ، الذين اعتنوا بشرحه و تدريسه فضلا عن الكتب الاخرى المشهورة في الفقه المالكي كالمدونة و المختلطة لسحنون [2]، وكتاب التهذيب لأبي سعيد البرادعي ، وكتاب التفريغ لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري القرطبي ، وكتاب الواضحة لعبد الملك بن حبيب القرطبي (233هـ) وكتاب أبي عمرو المعروف بالمختصر الفرعي بن الحاجب الذي عكف عليه طلاب المغرب عامة . وطلاب بجاية على وجه الخصوص ، لأن ناصر الدين المشدالي هو الذي جلبه إلى بجاية ، ومنها الى تلمسان و فاس بالمغربين الأوسط و الأقصى ، وكان الشيخ ناصر الدين يرغب في دراسته ، وقام بشرحه جماعة من الشيوخ .[3]

وقد وصل الفقه المالكي في هذا العصر الى طور النضج ، ولكن أساليب تدريسه قبل منتصف القرن السابع كانت تقليدية تعتمد على النقل و الحفظ ، وفي المنتصف الثاني لهذا القرن حدثت ثورة في أساليب تدريسه قام بها بعض أعلام الفقه المالكي كابن زيتون ، وأبي عبد الله شعيب الدكالي ، وابني الامام ، وناصر الدين المشادلي . وكانت طريقتهم تمتاز باعمال النظر ، وكثرة البحث و

---

[1] ينظر : تلمسان في العهد الزياني ، فيلالي عبد العزيز، ص 445.

[2] سحنون بن سعيد التنوخي واسمه عبد السلام وسحنون لقبه ، وتوفي في رجب سنة 240 هـ ، المرجع نفسه 445.

[3] المقدمة ، لعبد الرحمن ابن خلدون ،ص 808ـ809.

إثارة وجوه الخلاف ، و الرد عليها .[1] ونجد صدى هذا التطور الجديد في أسلوب التعليم غير ناصر الدين المشدالي كأبو القياس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن . وفي الأصلين (أصول الدين وأصول الفقه) كان علماء هذا العصر يعتمدون في تدريسها على : كتاب الإرشاد لأبي المعالي ، والمستصفى للغزالي بن سعد البصري ، وكتاب جامع الخيرات للإمام سفيان بن عيينة .

وهي كتب تدل على اتساع مجالات الدراسة و خصوصا مجال الدراسات الفقهية و القرآنية و الحديث .[2]

وكان لتعليم أصول الفقه وأصول الدين طريقتان : طريقة الأقدمين وهي طريقة أبي المعالي وغيره ، وطريقة المتاخرين وهي طريقة الفخر الرازي المعتمدة على النظر و الاجتهاد و المناقشة ، وممن كان يؤثر الطريقة الثانية على الأولى أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري وكان أسلوبه في التدريس يعتمد على النقاش و الحوار و الجدل " فكان يقرئ التهذيب و الجلاب ، فيكثر البحث ، وتحتد القرائح ، ويجيء بالمسألة الخلافية فيرتضي أحد وجهيها فيبحث عليه إلى أن يظهر الرجحان ويقع التسليم ثم يأخذ في الطرف الآخر ويلزم أصحابه ما كان يناظر عليه إلى أن يظهر في ذلك الطرف ويقع التسليم أيضا .

ولاشك أن هذه الطريقة الحوارية الفعالة تدل على تقدم أساليب التعليم في هذا العصر و على تطور الدراسات الفقهية و اللغوية ورواج الدراسات المنطقية على طريقة المتقدمين و المتأخرين ، وقد كان لهذه الطريقة أثرها في ازدهار المباحث الفقهية و الأصولية في القرنين الثامن و التاسع الهجريين في بجاية وتلمسان وفاس وتونس وفي نبوغ طائفة من أعلام الفقه المالكي .[3]

---

[1] ينظر : عنوان الدراية ، نفسه ، ص 41.

[2] ينظر: نفسه ص 28 ، تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ، ج 2 ، ص 76

[3] عنوان الدراية ، الغبريني ، 29

وبما أن العلماء كانوا موسوعيين ، يلمون بشتى فنون العلم من الفقه و التصوف و الأدب و النحو ، اللغة و الشعر ، ...أي العلوم العقلية و النقلية ، وهذا يدل على المستوى العالي الذي كانت تزخر به الأمة الإسلامية ، لذلك كان من الصعب تصنيف العلماء إلى فن من الفنون أو حسب تخصصاتهم، فارتأينا أن نجمع علماء الفقه و القراءات و الحديث و التفسير في باب واحد دون تصنيفهم، لأننا نجد عالم في القراءات له معرفة واسعة أيضا في الأدب و النحو، وهكذا.

كما أنه لا يسعنا أن نذكر كل العلماء سواء في التصوف أو الفقه أو في الأدب و النحو و اللغة ،... فاكتفيا بذكر بعضهم في شتى المجالات ، سواء العلماء الذي أنجبتهم بجاية وأبناءها أو الوافدين عليها خاصة من الأندلس الذين ساهموا في اخصاب الفكر العربي .

كما يجب أن نشير إن مدينة بجاية كان بها عدد كبير من الفقهاء ، فالتراجم التي اثبتها "أبو العباس" في كتابه "عنوان الدراية " جلها من الفقهاء كما أنها اقوى دليل على الازدهار الفكري و الحضاري وقد برز العديد من العلماء في العلوم الدينية في المائة السابعة ببجاية أشهرهم :

ـ عبد الحق الإشبيلي البجائي :

أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي (516هـ ـ582 هـ) ، ويعرف بابن الخراط دينة بالأندلس يضرب بها المثل في الجمال و المتعة ،كان فقيها كبيرا و حافظا للحديث ذا معرفة بعلله ورجاله ، وله مشاركة في عدد من فنون الأدب، استقر ببجاية 550هـ ، ولى القضاء بها ، كما ولى خطبة صلاة الجمعة بجامعها الأعظم ، ودرس فيه ، كان موصوفا بحب الخير و بالورع و الزهد ، وأنه زين العلماء وعماد الرواة رأس المحدثين ، له العديد من التآليف : الأحكام الكبرى و الصغرى ، الجمع بين الصحيحين ، الجامع الكبير في الحديث ،

العاقبة في التذكير ، وغيرها من كتب الحديث و الفقه . توفي الشيخ الإمام ببجاية (582 هـ) ، قبره موجود خارج باب المرسى[1].

ـ أبو عبد الله الشاطبي :

محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي (ت بعد سنة 699هـ/1300م) ، من أهل شاطبة[2]، كان عالما بعلم القراءات ، متفننا ، فيها وله معرفة بالعلوم العربية من لغة ونحو وأدب ، استوطن بجاية ، ودرس بها ومن أقواله :

جعلت كتاب ربي لي بضاعة فكيف أخاف فقرا أو إضاعه

وأعددت القناعة رأس مالي وهل شيء أعز من القناعة .[3]

ـ ابن محرز البلنسي : (569 هـ ـ655هـ).

هو أبو بكر محمد بن أحمد الزهري البلنسي ، المعروف بابن محرز ، أحد رجال العلم و الفصاحة بالأندلس ، واشتهر بالخصوص في الفقه ، أخذ العلم بمسقط رأسه ببلنسية ثم مرسية وإشبيلية ، ومالقة وغرناطة ،[4] عُرف بالدين و الفضل و العلم ، بعدها ارتحل إلى بجاية بعد سنة 640هـ/1241م ، فاستوطنها ، فكان معظما عند أهلها ومحترما ، وكانت تقرأ عليه هناك كتب الحديث و الفقه و اللغة و الأدب ، إلى أن توفي هناك رحمه الله سنة (655هـ / 1256م) .

وكان "ابن محرز" رأس الجماعة الأندلسية ببجاية يجتمعون بمنزله ، انتصب في بجاية للإقراء في القراءات و العربية .[5]

---

[1] نفح الطيب ، المقري ، ج 2 ، 634 ، عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 73 ،75 أنس الفقير وعز الحقير ، ابن قنفد القسنطيني ، ص 34 .

[2] شاطبة : مدينة بالأندلس يضرب بها المثل في الجمال و المتعة ينظر : المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق الادريسي ، ص 281 .

[3] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 104..

[4] نفح الطيب ، المقري ، ج 2 ، 282 .

[5] عنوان الدراية ، نفسه، ص 241 ـ 243.

ـــ أبـــو علـــي منصـــور بـــن أحمـــد بـــن عبـــد الحـــق المشـــدالي :

الشيخ ناصر الدين أحد اعلام الفقه و التدريس في القـــرن الســـابع هجـــري (7هـــ/13م)، ولد بمالة قرب بجاية سنة 631هـــ ، ارتحل إلى المشرق ولقي كبار المشايخ و العلماء أمثال : عز الدين بن عبد السلام ، و الشيخ شمس الدين الاصفهاني ، جمع بين معرفة الفقه وأصوله و التفسير و الحديث ، وحاز حظـــا وافرا من العربية و المنطق و الجدل ، اشتهر بطريقته في التعليم باستعمال أسلوب الحوار و المناقشة و التعمق في البحث و التعليل في أصول الفقه .

وهوأول من نقل مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه الى المغرب توفي رحمه الله سنة 731هـــ[1]

ـــ أبو محمد عبد السلام الزواوي :

هو العالم ذرين الدين عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس الزواوي ، ولد في بجاية سنة 589هـــ/ 1193م، نبغ في علوم الفقه و القراءات وعلـــوم اللغة و الآداب العربية ، وعندما تقدم به السن رحل إلى المشرق ، وتنقل بين الإسكندرية و القاهرة ، ودمشق التي اتخذها مقاما له ، وتلقى هنـــاك مشـــيخة الإقراء الكبرى بالتربية الصالحة ، كما تولى قضاء المالكية ، وتصدى للتدريس و التعليم و الافتاء حتى توفي سنة 681هـــ (12 ـــ 1283 م) ، وســـار في جنازته نائب الشام لاجين ، مما يدل على المكانة العلمية التي كان يحتلها .[2]

---

[1] عنوان الدراية ، الغبرينيي ، ص 200 ، 201 ، نيل الابتهاج ، بابا التنبكتي ، ص 345،344، المقدمة ، ابن خلدون ، ص 439.

[2] عنوان الدراية ، نفسه ، ص 77، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، بومعزيز يحيى ج1،ص 178.

ـــــ أبـــــو موســـــى عمـــــران المشـــــدالي البجـــــائي :

كان مولده سنة 670هـ/1271م ببجاية ، بـــرز في الحـــديث و الفقـــه و النحوالمنطق و الفرائض ، ارتحل إلى تلمسان حوالي 728هـ/1326م فأسندإليه الزيانيون التدريس بالمدرسة التاشفينية بتلمسان فأخذ عنه الكثير من طلبتها .[1]

ـــ ابن زيتون :

أبو القاسم بن أبي بكر اليمني المكنى بابن زيتون ولد 621 هـ/ 1251م ، أدى فريضة الحج مرتين سنة 648هـ و سنة 656هـ ، وتأثر بالعلم الشـــهير عز الدين بن عبد السلام ، استوطن بجاية و عمل على نشـــر الفقـــه المـــالكي واضطلع بالحديث و كذا العلوم العقلية ، توفي سنة 691هـ / 1292م.[2]

[1] الهجرة الاندلسية الى المغرب الاقصى و دورها في الازدهار الحضاري ما بين القرن 7و9هـ / 13 و15م، مريم بوعامر ، ص 57

[2] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 114 - 115 ، نيل الابتهاج ، بابا التبنكتي ص 131، الحلل السندسية ، السراج الوزير ، ج 1 ، ق 4، ص 684.

4.1التصوف :

التصوف من العلوم المحدثة في العالم الإسلامي ، ظهر في القرن الثاني هجري الثامن ميلادي في عهد العباسيين [1] عرفه عبد الرحمان بن خلدون بأنه : الاعتكاف على العبادة و الانقطاع الى الله ، و الابتعاد عن ملذات وزينية الحياة الدنيا .[2] أما التصوف في المغرب الإسلامي فقد ظهر في القرن الثالث هجري و الرابع (9 ــ 10م) ، وقد عرف نجاحا لعدة أسباب نذكر منها :

ــ أثر الاختمار الديني الشديد الذي احدثه في المغرب الإسلامي المرابطون ثم الموحدون .

ــ النزعة العقلية التي اتجه اليها الموحدون في إدراك الله وصفاته أثر في تنمية التصوف الوليد في المغرب .

ــ الحركات التي ظهرت في الشرق الإسلامي منذ بدايته الإسلام وجدت لها أصداء في الشمال الإفريقي (الخوارج ، الشيعة ، وحركة السلفية و اقرا مذهب مالك أو النزعة العقلية المعتزلة ، الأشعرية التي اتجه إليها الموحدون)[3]

خلال القرن السادس و السابع هجري الثاني عشر و الثالث عشر ميلادي عرفت حركة التصوف ازدهارا رائعا مثلها المهاجرون المتصوفين الأندلسيين ، الذين وقع اختيارهم على بجاية لعدة أسباب كما ذكرها سابقا ، نشروا فيها مختلف العلوم ، من بينها علم التصوف ، ويأتي على رأس المتصوفة الأندلسيين الذين فضلوا الاستقرار ببجاية الولي الصالح و الفقيه الورع و الشيخ الشيوخ"

---

[1] المتصوفة و الفقراء ، لابن تيمية، ص13

[2] المقدمة ، ابن خلدون ، ص1234

[3] التصوف في الشمال الافريقي (من الفتح العربي حتى اليوم) ، الفردبل ، ص96

أبي مدين بن شعيب" [1] كما توافدت عليها شخصيات أخرى خلال القرن (6ـ7 هـ) ـ(12 ـ 13 هـ)

و التصوف نوعان : تصوف عملي وفلسفي : ونعني بالأول التصوف الذي سار متقيدا بالقرآن و السنة ، و الهتمام بالتعبد و الزهد ، وقد برز ومثل هذا الاتجاه العديد من المتصوفة وعلى رأسهم الشيخ القطب أبي مدين ، أما الثاني فقد مثله جملة من المتصوفة من هؤولاء ابن عربي الذي مر ببجاية في أواخر القرن السادس الهجري ، وابن سبعين ومر بها ايضا و الششتري الذي أقام بها مدة و الحرالي التجيبي ، وقد اعتمد هؤولاء على دراسة نظريات المعرفة و الوصول إلى الحقيقة الإلاهية وحقيقة الأشياء ، ولإدراك الحقيقة الإلاهية كانوا يستعيضون عنها بالمجاهدات النفسية و الرياضات الروحية للوصول إلى ذلك بالكشف ، وقد عرف التصوف الفلسفي تطورا منذ القرن الثالث ، وهذا التصوف يتفق مع الفلسفة في العديد من النقاط :

ذلك أن كليهما يستهدف الإتصال بالله تحقيقا للسعادة ، وإن اختلفت طريقة كليهما ، فالفلسفة تصطنع التأمل و النظر العقلي أما التصوف فإنه يغلب العمل على النظر ، ويقدم التعبد على التأمل ، لأنه في أهله تجربة روحية تقوم على التقشف و الزهد و الحرمان ،...وقد برز من التصوفة (سني / فلسفي) عدة منهم في المائة السابعة ببجاية ، كان لهم احتراما كبيرا من قبل العامة اشهرهم .

ولابد أن نشير اننا ذكرنا بعض المتصوفة الذين عاشوا ما بين أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري .[2]

[1] ستاتي ترجمته كاملة في الصفحات اللاحقة .

[2] ينظر : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 45 ، 49.

ــ أبو مدين شعيب التلمساني :

هو أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي القطب الشيخ ، وإمـــام العبـــاد و الزهاد ، وشيخ المشايخ والمتصوفة ، وأحد كبار علماء عصره ، وحفاظ الحديث ، أصله من ناحية اشبيلية بالاندلس ،[1] انتقل إلى المغرب ونزل في فاس فأخـــذ العلم فيها عن أبي يعزى ، وعن ابي الحسن بن حرزهم ، وأبي الحسن بن غالب ، ذهب ابو مدين إلى الحج فلقي في مكة عبـــد القـــادر الجـــيلالي (471هـــ /561هـــ) ، وأخذ عنه طريقته فألبسه الخرقة ، واودعه كثيرا من اسراره .[2]، عاد أبو مدين إلى المغرب واستعرطن بجاية ، نال فيها حب أهلي بجاية و التفافهم حوله ، مما أزعج كبار الدولة الموحدية الذين وشوا به الى الخليفـــة يعقـــوب المنصور (580هـــ /595هـــ) ، الذي أمر باحضاره إلى مراكش ، واستدعى الإمام الفقيه الشيخ ابو مدين الى الحضرة ، وفي طريقه إليها اشتد به المـــرض ، فنزل بموضع يسمى العباد ، حيث وافته المنية سنة 595هـــ ، وبذلك شـــرفت تلمسان باحتضان مثواه [3]. ساهم أبو مدين شعيب في نشر التصوف بـــالمغرب الإسلامي ، له العديد من الكتب منها : بداية المريدين ، أنس الوحيـــد ونزهـــة المريد ، وله قصيدة نونية حافلة بالتلويحات و الرموز الخمرية [4]

---

[1] ينظر : أنس الفقير وعز الحقير ، ابن قنفد القسنطيني ، اعتنى بنشره وتحقيقه: محمد الفاسي ، ادولف فور ، المركز الجامعي للبحث جامعة محمد الخامس ، (دتا) ،ص26 ــ45 ، عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 55 ــ61 ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، أبي زكريا يحي بن خلدون ،بيير فونطانا الشرقية ، الجزائر، 1903 ، ص 63.

[2] نفح الطيب ، المقري ،ج2، ص 96 ، عنوان الدراية ، نفسه ، ص 55 ــ 61 ، بغية الرواد نفسه ، ص 63.

[3] ينظر : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، لابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد) ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 108ــ114 ، بغية الرواد ، نفسه ، ص 63 ، عنوان الدراية ، نفسه ، ص 55ــ 61 ، أنس الفقير وعز الحقير ، نفسه ، ص 11ــ12

[4] تاريخ الأدب العربي ، عمرو فروخ ، ص 519 ، للاطلاع على قصيدته الخمرية الرمز الشعري عند الصوفية لعاطف جودة نصر ، تقريب المعاني من ديوان سيدي أبي مدين التلمساني ، ت : حرار مكي .

ـ محي الدين بن عربي :

هو أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي ، قطب من أقطاب التصوف الفلسفي ، ومن أكبر أدباء الصوفية ، أهله من مرسية ولد سنة 560هـ /1065م ، المعروف بابن سراقة ويلقب بمحي الدين ويعرف بابن العربي ، أخذ عن الكثير من المشايخ ، من بينهم ابن زرقون وأبي محمد عبد الحق الاشبيلي الازدي ، قام برحلة علمية في المشرق و المغرب ، دخل بجاية في شهر رمضان سنة 597هـ[1]، وللشيخ تآليف كثيرة منها :

كتاب النصوص ، وكتاب الإسراء إلى المقام الأسرى ، وكتاب مواقع النجوم ومطالع أهلة أسرار العلوم ، عنقاء مغرب في صفة ختم الأولياء وشمس المغرب ، وكتاب المعارف الإلاهية ، وكتاب الفتوحات المكية ،...[2]

وقد حدثت ضجة كبرى حول الشيخ محي الدين فمنهم من نعته بالعرف بالله وقطب وولي من أولياء الله الصالحين مثل الفيروز أبادي ، وفخر الدين الرازي وابن السبكي ، ...في حين نعته البعض الآخر بالإلحاد و الزندقة كابن الخياط ، الحافظ الذهبي ،...[3]

توفي رحمه الله الفقيه الصوفي الفيلسوف بدمشق سنة 640هـ ودفن بجبل قاسيون .[4]

وذلك نظرا لبعض أقواله التي كان ظاهرها الإلحاد وباطنها الإسلام منها قوله:

يامن يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

وما سجل عن كيفية التجرؤ و القول(بان الله لايراه)اجاب بقوله :

لايراك وأنت تعلم أنه يراك : فقلت مرتحلا له :

---

[1] عنوان الدراية ، الغبرينيي ، ص158ـ159، نفح الطيب ، المقري ،ج 2،ص 361.

[2] نفسه ، ص 387

[3] ظهر الاسلام ، أحمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (دتا) ، ج 3 ، ص 74 ـ75 .

[4] عنوان الدراية نفسه ، ص 159.

يامن يراني مجرما ولا أراه اخذا .

كم ذا أراه منعما ولا يراني عائذا [1]

ـــ أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي :

لقب بقطب الدين ، ولد بمرسية سنة 614 هـ/1118م ، له معرفة واسعة في الحكمة و البلاغة و الفصاحة له مساهمة في العلوم العقلية و النقلية و الشعرية أيضا ، نزل بجاية مدة درس بها ، أخذ عنه كثيرون وانتفعوا من علمه ، توفي سنة 669هـ ، ترك العديد من المؤلفات أهمها : كتاب الدرج ، السفر ، الأبواب اليمنية ، الكد ، الإحاطة ، اضافة الى رسائل كثيرة في الأذكار والوصايا و المواعظ ، كما خلف طريقة صوفية تعرف بالسبعينية ومذهب في التصوف الفلسفي يعرف بالوحدة المطلقة .[2]

ـــ أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيبي :

ولد بمراكش ، تعلم على يد الكثير من علماء المغرب و المشرق خلال رحلته للحج ، له تصانيف وتآليف عدة في علم الفرائض ، وعلم العربية وأصول الفقه والدين ، وعلم الحديث ، كما كان آنذاك أعلم الناس بالمنطق وعلم الكلام ، له تصنيف فيه سماه ـــ بالمعقولات الأول ـــ بالإضافة إلى كتب دينية ككتاب مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المترل ، وكتاب الوافي ، وغيرها من التآليف الأدبية و في علم التصوف ، قدم إلى بجاية التي غير بها الكثير من المنكرات ، فلقد استقام على يده الكثير من اهالي بجاية خاصة السكرى منهم ، توفي ببلاد الشام سنة 637هـ .[3]

---

[1] نفح الطيب المقري ،ج2،ص 380

[2] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 209 ، نفح الطيب ، المقري ، ج 2 ، ص 407 ، نيل الابتهاج ، بابا التنبكتي ، ص 184.

[3] عنوان الدراية ، نفسه ، ص 146 - 157 ، نيل الابتهاج ، باب تنيكتي ، ص 201

ــأبو الحسن الششتري :

أبو الحسن علي النميري الششتري ، صوفي شهير و أديب شاعر من تلامذة ابن سبعين [1] قال فيه المقري صاحب النفح :" عروس الفقهاء و إمام المتجردين وبركة لابسي الخرقة ، من أهل العلم و العمل ."[2]

توفي بالشام سنة 668 هـ/1269م بمكان يقال له الطينة ، ومما يذكر عنه أنه لما وصل إلى ذلك المكان سأل عن اسم بلدة ؟ فقيل له الطينة فقال لهم :" حنت الطينة إلى الطينة وبها توفي ، وقد خلف مؤلفات عديدة منها : المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية ، الرسالة العلمية ، المراتب الايمانية و الإسلامية و الاحسانية ، كما كان له شعر كثير ، الكثير منه في الموشحات و الأزجال الصوفية .[3]

ــ أبو العباس احمد بن خالد من أهل مالقة :

قرأ بالأندلس ، ثم انتقل إلى مراكش ، كان فقيها ، وله مساهمة في الطب و الحكمة وفي الطبيعيات و الإلهيات ، لكنه برع أكثر في المنطق ، استوطن بجاية التي جلس يقرأ بها عرف بدقة النظر وحسن الفكر ، توفي العلم الجليل ببجاية سنة 660هـ ودفن بحومة بابا أمسيون .[4]

---

[1] الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 210.
[2] نفح الطيب ، المقري ، ج 2 ، ص 696.
[3] عنوان الدراية نفسه ، ص 210، نفح الطيب ، نفسه ، ص 397.
[4] عنوان الدراية ، نفسه ، ص 100 ــ 101

2 ــ العلوم العقلية :

1.2ــ الأدب :

عرف الأدب شعرا ونثرا اهتماما و إقبالا كبيرين لاسيما و أن السلاطين كان لهم ميل و مشاركة في هذا الجانب .

وقد أقبل الأدباء و الطلاب على دراسة كتب الأدب المشهورة ككتاب الجمل للخونجي ، العقد الفريد لابن عبد ربه ، الايضاح لأبي على الفارسي ، كتاب سيبويه ، العمدة لابن رشيق ، المعلقات السبع ، كتاب الأغاني[1] وغيرها . كما حظيت الدراسات اللغوية من قبل علماء المغرب و أدبائه ، واهتموا بالبلاغة لارتباطها الوثيق بعلوم القرآن و الحديث خاصة و بالعلوم الدينية على وجه العموم ، لان الدارس لا يستطيع أن يصل إلى أسرار القرآن ومعانيه وتفسيره دون الإلمام بزمام اللغة و البيان ، ولذا عرفت الحركة اللغوية نشاطا لا يقل عن النشاط الذي عرفته العلوم الدينية .

فكانت المجالس اللغوية تعقد لدراسة النحو و العروض و البيان وتقام من أجل ذلك المناظرات بين الأدباء و علماء اللغة و النحاة ، للتاكد من سلامة اللسان و صفاته وخلوه من التلحين و التصحيف .

فكانت الأبحاث التي تدور جلها حول علوم الدين ، ولاسيما منها الفقه و الحديث و التفسير و المذهب المالكي وأصوله وفروعه ، و الفقهاء كانوا يفسرون و يختصرون ويعلقون و ينظمون الأراجيز ،...كان هذا عاملا اساسيا في تطوير اللغة العربية .[2]

وقد بيرز العديد من الادباء ببجاية لعل أشهرهم تطور الأدب في هذا العصر في بجاية و تلمسان تطورا كبيرا . فقد تبوا أدب الرسائل منزلة رفيعة لم تتبواها

---

[1] عنوان الدراية ، الغبرينيي ، ص 27 .

[2] ينظر : تلمسان في العهد الزياني ، فيلالي عبد العزيز ، ص 452 ــ 453.

الفنون الادبية الاخرى ، التي كانت معروفة في القرن السابع الهجـــري ببلـــدان المغرب و الأندلس ، كما كانت له مكانة هامة في ميادين الحياة السياســـية و الاجتماعية و الثقافية ، ولذا فانه أصبح

الوسيلة الفعالة للتعبير عما يجول في الخواطر من أراء وأفكار ، وعما يحس بـــه من أحاسيس و عواطف ودون عائق فني يعوق المنشئ ، وذلك كعائق التقفية و الوزن .

كما أن أدب الرسائل اتسم بتلك الروح الدينية الصادقة ، التي كانت ســـائدة ، وبهذا يكون مرآة للعصر ، إذ صور لنا مختلف الجوانب ، سواء كانت روحيـــة أو مادية ، ما من حيث البناء فنجد أجزاء من بنية أدب الرسائل كانت ناتجة عن الفكر الإسلامي ، إذ أننا لا نكاد نجد رسالة تخلو من البسمة ، و الحمد له ، و التصلية و التسليم ، و التحية ، بل حتى العلامة السلطانية ، اضافة الى تغلغـــل المعاني الدينية في كل موضوعاتها ,

كما نشير إلى أن الأنواع الأدبية النثرية الأخرى كفن الخطابـــة ، والمقامـــة ، كانت قليلة جدا في هذه الفترة بالنسبة لفن الرسائل .

وقد ظهر في القرن السابع كتاب كبار كان لهم كبيرا الأثر في الكتابة الفنية ولاسيما الرسائل كابن عميرة ، وعبد المهيمن الحضرمي ، وابن محشرة ابو الفضل ابن محمد بن علي بن طاهر بن تميم القيسي ، وعبد الحق بن ربيع البجـــائي ، وكان يكتب على الطريقة الأدبية و الشرعية[1]

وكان يقول فيه ابن عميرة "أما الكتابة الأدبية فنحن فيها وإياه على نسق ، وأما الشرعية فقد انفرد بها عبد الله محمد بن ابراهيم الوغليسي وكان عالما بالكتابين :

[1] يندرج فن الترسل ضمن دائرة " التعبير عن الذات " وتبليغ ما في النفس الباطنة إلى متلق غير حاضر إلا في الذهن . الأديب الجزائري القديم ، عبد الملك مرتاض ، دار هومة ، الجزائر ، ص 81.

الأدبية و الشرعية وعليه كان المعتمد في الرسائل السلطانية و الوثائق وكان فصيح اللسان بارع الخط .

وقد برزت في هذا العصر ظاهرة كثرة الرسائل و التي تعددت بتعدد موضوعات الحياة و مشاكلها ، كما أن الرغبة الشديدة في العلم ، وفي التوظيف بالدواوين الرسمية دفع إلى وجود ظاهرة التنافس بين الكتاب أنفسهم ، وهذا ما أدى بدوره إلى الاكثار من النثر و إلى الإكثار من عدد الكتاب ، ولاسيما في تلك الفترة التي بلغت فيها الحياة الفكرية و الثقافية أوجها ، يضاف إلى ذلك تشجيع أولى الأمر للعلم و العلماء[1].

أما إذا انتقلنا إلى الكتاب بالخصوص وإلى توظيفهم بالدواوين فقد كانوا يختارون اختيارا لأن الضرورة كانت تقرض ذلك ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اعتناء اولى الأمر بالكتاب ، لان وظيفة الكتابة كانت خطيرة ، كما كانت تؤدي الى مناصب سامية ، كالحجاية الذي تحدث عنه ابن خلدون في بلدان المغرب ، ولهذا أيضا كثر التنافس بين الكتاب على وظيفة الكتابة .[2]

عرفت مدينة بجاية في الجانب الأدبي و الفني ، فن الموشحات و الازجال ، وهما فنان اندلسيان خالصان ، نشأ وترعرعا بالأندلس ، ومنها انتقلا إلى المغرب و المشرق ، وهما نوعان من فنون الشعر ، يطلق عليهم أيضا اسم الشعر الدوري، من خصوصياتهما أنهما لا يلتزمان بقافية موحدة ، بل تتعدد فيها القوافي .[3]

1 ــ الموشح :عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله:" استحدث المتأخرون منهم (الأندلسيون) فنا سموه الموشح ينظمونه أسماطا أسماطا ، وأغصانا أغصانا ، يكثرون منها من أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا، ويشمل

---

[1] ــ ينظر : أدبيه الرسائل في المغربيه العربي في القرنين السابع والثامن ، الطاهر محمد توانته ص465 ــ171 ، عنوان الدراية ، الغبرينيي ، 43

[2] المصدر السابق ، ص 87 .أدبيه الرسائل في المغربيه العربي ، الطاهر محمد توانته ص 467.

[3] شمس العربيه تسطع على الغربيه ، زغريد هونكة ، ص 422 ــ 424.

كل بيت على اغصان".[1] وهو يتكون من عدة أجزاء وهي : المطلع ، الدور ، القفل ، الخرجة .[2]

واسمه مأخوذ من الأشاح أو الوشاح بكسر الواو ، وهو حلي للنساء ، ومن هذا الاسم يتضح أن هناك صلة بين الفن و المراة ، فكانما الموشح هدية ينظمها الشاعر ليقدمها إلى المرأة [3].

وقد اختلف فيمن استحدث هذا الفن ، فقيل مقمم بن معافي القبري ، وقيل محمد بن محمود القبري ، أما الزمان فهو آخر القرن الثالث الهجري و بداية القرن الرابع الهجري (قوم)، ببلدة قبرة بين قرطبة وغرناطة .[4]

وقد انتشر وعرف هذا الفن ببجاية ، من خلال الأندلسيين الوافدين عليها ، وقد ببز وبرع فيه الكثر من الشعراء نذكر منهم : ابن جنان وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن جنان ، من أهل الرواية و الدراية ، و الحفظ و الاتقان وجودة الخط ، وحسن الضبط ، وهو في الكتابة من نظراء أبي المطرف المخزومي ، وكثيرا ما كانا يتراسلان بما يعجز عنه الكثير من الفصحاء . نظمه غزير ، وأدبه كثير ، وهو مشهور بين أيدي الناس ، توفي سنة 655 هـ /1161م ، هو صاحب كثير من الموشحات ، سيما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله :

الله زاد محمدا تكريما

وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختصه في المرسلين كريما

ذارأفة بالمؤمنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليما .[1]

---

[1] المقدمة ابن خلدون ، ص 443 ، 444.

[2] ديوان الموشحات الاندلسية ، محمد زكريا عنان ، دار المعارف الجامعية ، ط2 ، الاسكندرية ، ص 23 ، فن التوشيح ، مصطفى عوض الكريم ، دار الثقافة ، ط2 ، بيروت لبنان، 1984 ،ص64

[3] تأثير الموشحات في التروبا دور ، عبد الإله ميسوم ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص 77.

[4] المقدمة ، المصدر نفسه ، ص 644 .

2ـ *الزجل* : هو الآخر من فنون الشعر ابتكره الأندلسيون ، شبيه بالموشح ، لكنه يكتب باللهجة العامية ، ظهر بعد انتشار الموشحات لسلاستها وسهولتها، فنسجت العامة على منوالها بلهجتهم العامية المزيجة باللغة اللاتينية .[2] وقد برز العديد من الأدباء في هذه الفترة نذكر منهم :

ـ عمارة بن يحي بن عمارة :

هو أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني ، استقر في بعض النواحي من بجاية ، له عدة تآليف في علم الفرائض و الشعر و الأدب و الموشحات ، وبشعره كان الناس يضرب المثل ، ويذكر أن شعره جمع في ديوان.

كان له ابنة هي عائشة ، أديبة فصيحة لبيبة ، صاحبة الخط الحسن ، كان لها وزن في المجال الأدبي و الخط العربي بالمغرب الإسلامي عامة و بجاية خاصة ، كانت خطاطة ماهرة وبالإضافة إلى براعتها في الخط كان لها طرائف أخبار ومستحسنات أشعار .[3]

ـ محمد بن الحسن القلعي :

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي نسبة إلى قلعة "بني حماد " التي كان جده ميمون قاضيا بها .

نشأ بالجزائر ، وتتلمذ بها على شيوخها منهم "علي أبو عبد الله بن منداس " ، وانتقل إلى بجاية ، واتصل باساتذتها منهم "أبو الحسن الحرالي "و "أبو الحسن بن أبي نصر" و "أبو بكر بن محرز"و"أبو المطرف بن عميرة"[4] و"أبو زيد بن سطاح" أصبح راسخ القدم في العلوم العربية محكما لفنونها ، وكان قويا في "علم

---

[1] ينظر : عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 302 ـ 306 ، تاريخ الأدب العربي عمر فروخ ، ص 198.

[2] المقدمة ، ابن خلدون ، ص 651.

[3] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 76 ـ 79 .

التصريف" ومحبا في التعليل جاريا فيه على سنن "ابن جنى"، وتصدر الاقراء ، فانتال عليه طلبة كثيرون يقرأون عليه جميع الكتب النحوية و اللغوية و الأدبية .[1]

و"الغبريني"صاحب كتاب "عنوان الدراية" نفسه أخذ عنه فقال :

"لزمته ما ينيف على عشرة أعوام و استمعت إليه كثيرا و استفدت كثيرا . قرأت عليه الايضاح من فاتحته إلى خاتمته ، وقرات عليه قانون أبي موسى الجزولي ، وجملة من الأمالي ومن زهر الأدب ومن مقامات و قصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي ، وحضرت المفصل "[2](أي للزمخشري).

له مصنفات عديدة منها : الموضح في علم النحو ، حدق العيون في تنقيح القانون ، نشر الخفي في مشكلات أبي علي.

كان فحلا من فحول شعراء عصره مطبوعا دقيقا المعاني متين البيت جزيل اللفظ ينحو في شعره منحى "حبيب اوس"، وكان صديقه "ابو عبد الله الايسي الجزائري" يسلك في شعره على طريق المتنبي ، فكان الشاعران يتراسلان الاشعار يجاوب كل واحد منهما الاخر على طريقته . توفي رحمه الله ببجاية عام 673هـ.[3]

ومن شعره في الزهد ، وشوقه ومدحه للرسول صلى الله عليه وسلم :

أمن أجل أن بانوا فؤادك مغرم وقلبك خفاق ودمعك يسجم .

وما ذاك إلا أن جسمك منجد وقلبك مع من سار في الركب مُتهم

ومن قائل في نظمه متعجبا وجسم بلا قلب فكيف رأيتم ؟

ولا عجب أن فارق الجسم قلبه فحيث ثوى المحبوب يثوي المتيم

---

[1] ينظر لعنوان الدراية ، الغبريني ، ص 94 ـ 96.

[2] نفسه : 94 ـ 95 .

[3] نفسه 98 ـ 99.

وما ضرهم لو ودعوا يوم أودعوا فؤادي بتذكار الصبابة يخدم .
عساهم كما ابدوا صدودا وجفوة يعودون للوصل الذي كنت اعلم .

ـــ أبو المطرف احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي :

عالم جليل اعلم العلماء زمانه وتاج أدبائه ، استوطن بجاية ودرس بها ، له علم بالفقه و أصوله و الحديث ، برع في الأدب براعة ع بها من كبار مجيدي النظم ، له عدة مؤلفات في هذا المجال ، فقد كان الناس ينتقون كتبه أكثر من غيره لبراعته الأدبية ، توفي الفقيه الأديب سنة 658هـ.[1]

2.2/ التاريخ :

لقد برز العديد من المؤرخين الذين كان لهم إلمام بفنون أخرى ، نذكر منهم :

ـــ أبو عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي :

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد ، ولد ببرج حمزة ، درس ودرس بالقلعة و بجاية ، تولى خطة القضاء بالجزيرة الخضراء في الأندلس ، يعد ابن حماد الصنهاجي من ائمة العلم في زمنه فهو اديب شاعر و مؤرخ وفقيه وراوية للحديث .

من ضمن مؤلفاته : أخبار الملوك بني عبيد ، و الديباجة في أخبار صنهاجة الذي اعتمد عليه ابن خلدون في كتابه الكبير "العبر" ، واهتم المستشرق ليفي بروفنسال بتحقيقه ، وله أشعار كثيرة أكثرها في الوصف توفي ما بين سنتين 628هـ / 640هـ .[2]

---

[1] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 250 ـ 253.

[2] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 192 ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، بوعزيز يحي 36ـ37 ، أنس الفقير و عز الحقير ، ابن قنفذ القسنطيني ، ص 92.

ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار :

ولد الفقيه المحدث ، المقرئ ، النحوي ، الأديب ، المؤرخ ، سنة 575 هـ أهله من بلنسية ، درس بالأندلس ، كان قدومه منها الى إفريقية بصفة رسول والي بلنسية ، الذي استنجد بالأمير الحفصي أبي زكريا ليخلصه من العدو الإسباني ، استقر ابن الأبار بجاية درس بها و اقرا وروى ، واسمع وصنف ، والف العديد من التآليف في الحديث و الأدب و التاريخ وما تبقى منها كتاب : الحلة السيراء ، التكملة لكتاب الصلة ، معدن اللجين في مراثي الحسين . توفي الفقيه المؤرخ رحمه الله بتونس سنة 658 هـ.[1]

3.2/ الطب :

كانت مهنة الطب قليلة ببجاية ، حسب قول الغبريني :" أشد الصنائع ضياعا ..." وهو يذكر لنا من كتب الطب المتادولة بينهم كتاب القانون لابن سينا وأرجوزته المشهورة في الطب : وكان ممن برع في هذه الصناعة و اشتهر أمره يمئذ ببجاية الطبيب ابن اندارس البجائي كان ماهرا في عمله باحثا مجيدا تصدر لاقراء العربية و الطب ببجاية وكانت دروسه ومجالسه حافلة بأذكياء الطلبة و أعيان العلماء ، ويجرى فيها من الأبحاث الدقيقة ما يعز وجوده في بطون الكتب ، كما كان على رأس الأطباء المختصين بقصر الإمارة في بجاية ، وبها وضع أرجوزته في الأدوية ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي إلى تونس فسلكه في طبقة أطبائه المختصين به .[2]

ونذكر كذلك أبا عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام الذي ولد بدلس و استقر ببجاية له حظوظ في علم الطب علمية وعملية ، وكان مزاولا ومعالجا،

[1] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص 257 ،261.

[2] ينظر عنوان الدراية ، الغبريني ، ص،ص 101 102 ، تاريخ الجزائر العام ، عبد الرحمن الجيلالي ص 77 .

أي انه كان يزاول الطب نظريا وعمليا [1] يفحص ويعالج ونذكر أيضاأبا(عبد الله) العباس أحمد بن خالد المالقي المتضع ايضا في العلوم الدينية و علم المنطق ، وكانت له تدخلات طبية .[2]

وقد كان للطب الإسلامي المغاربي دورا بارزا في ذلك ابداعا وتأثيرا و ايصالا الى أوروبا ومن أبرز أطباء المغرب الإسلامي عبد الرحمن الطليطلي ، أمية بن أبي الصلت ، ابن حزم ، وعائلة ابن زهر وغيرهم كثير ، الذين ترجمت كتبهم ومؤلفاتهم عدة مرات إلى اللاتينية منذ مطلع القرن السادس عشر ، وبقيت مراجع أساسية للأوروبيين إلى منتصف القرن الثامن عشر ، كما قدم لأوربا فوائد كثيرة ورائدة تتجلى في الكتب الجامعية ، التي تناولت معظم فروع علم الطب ، وفي المادة العلمية الغزيرة المتعلقة بالطب الاكلينيكي ، وفي المعرفة الواسعة للعقاقير و الادوية المفردة و المركبة ، وفي الخبرة الواسعة في العلاج و الجراحة و البيمارستانات .[3] كما لعبت بجاية في ذلك بإمداد

أوروبا بالعلم و الطب وفي نهضتها العلمية ، فقد استفادوا من التجربة العربية عامة و بجاية خاصة .

4.2 / الرياضيات :

كانت بجاية خلال القرون الوسطى لاسيما ما بين القرنين (6ـــ 7هـــ/ 12ـ13م) عاصمة الرياضيات ، فنقلت منها مختلف المدن الأوروبية خاصة جنوب أوروبا و بذات إيطاليا (بيزة ، جنوة ، سيقلية ، البندقية ،...).

يعتبر علم الرياضيا ت و الحساب من اهم العلوم التي طورها العرب بعدما نقلوا قواعدها عن الاغريق و الهنود ، فقد استوعب العرب المسلمون نظام

---

[1] ينظر عنوان الدراية ، نفسه ، ص 294.

[2] ينظر نفسه ، ص 100 ، 101 .

67 شمس العرب تسطع على الغرب ، زغريد هونكة ، تر : فاروق بيضون ، كمال دسوقي بيروت ، 1964 ، ص 263، 269 ـ 340 342

الاعداد الهندي و أوصله إلى اوروبا ، واضاف اليعقوبي رمزا حسابيا جديدا هو الصفر الذي يعد من اخطر المبادئ التي اهتدى إليها العقل البشري في الرياضيات .

كما طوروا نظام الأعداد العشرية ، الهندسة العربية ، المثلثات ، و الكسور ، كما استعملوا نظام الترقيم ، بل اكثر من هذا استطاعوا أن يصنفوا أرقام الآحاد والعشرات المئات و الآلاف في خانات عديدة كما اهدى علماء المغرب الاسلامي بصفة عامة الى أوروبا و العلم كله ، الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب الإسلامي و الأندلس ، ومن أعلام أوروبا الذين نقلوا الرياضيات من بجاية إلى أوروبا ، الرياضي البيزي (ليوناردو في بوتانشي) الذي تلقى تعليمه ببجاية على يد كبار علماء بجاية ، فبرع خاصة في مادة الرياضيات و الحساب ، و لم يكتف بذلك بل جال بلاد العرب منها : مصر ، الشام ، اليونان و صقلية ،.... لينتهل المناهج و الطرق العلمية الجديدة في علم الرياضيات .[1]

ومن علماء بجاية الذين برزوا في علم الرياضيات : ابو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي من قلعة بني حماد ، كان له علم بالفقه و الفرائض علما وعملا ، وكان له علم بالحساب سبقه فيه الأوائل .[2]

[1] ينظر موضوعاته وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب ، بوعزيز يحي ص 54 ـ 55

[2] عنوان الدراية ، الغبريني ، ص227.

خاتمة

خاتمة:

* بعدما تطرقنا لدراسة بجاية حضاريًا وفكريًا وثقافيًا خلال القرن 7 ه /13 م، يتضح لنا أنها ساهمت بشكل كبير في بناء المغرب الإسلامي.

* فعلى الصعيد السياسي استطاعت بجاية أن تقاوم وتتأقلم مع كل التيارات الداخلية والخارجية ،وأن تحافظ على استمراريتها . ففي عهد الحماديين مثلت بجاية استمرار لعهد القوة،عسكريا وسياسيا وحضاريا ,فقد شهدت قفزة في ميدان العمران والثقافة , ثم الموحدون الذين أولوها اهتماما كبيرا ، وحرصو على إحاطتها بأهل العلم والشورى من أمراء الدولة ومشايخها .ونفس الوضع شهدته في العهد الحفصي ,فكانت تعتبر العاصمة الثانية بعد تونس .

* شهدت بجاية حركة علمية بفضل انتشار مراكز التعليم كالمساجد والكتاتيب والزوايا، التي أدت دورا مهما في الازدهار الحضاري , فقد كانت مقصدا لطلاب العلم من مختلف أنحاء المغرب الإسلامي ، هذا إلى جانب دور السلاطين والأمراء في تفعيل نشاط الحركة العلمية.

* كما نستنتج أن المهاجرين الأندلسيين كان لهم دور في إثراء الثقافة ببجاية ,فبعد أن انتقلت الوفود الأندلسية إلى مدينة بجاية لعدة عوامل منها موقعها المتميز ،المكانة السياسية الإقتصادية التي تتمتع بها التوسع العمراني,...

فبفضل هذه العوامل استقطبت بجاية عدد هائل من الأندلسيين وهذا ما أدى إلى تبادل معرفي وانصهار اجتماعي واقتصادي .

* احتضنت بجاية حرفيين وصناع ومعماريين ، وعدد هائل من العلماء في مختلف العلوم ناشرين معارفهم ومناهجهم التعليمية ،مساهمين في توسيع رُقعة العلم ببجاية في ميادين كثيرة وتعددة سواء في العلوم الدينية أو العقلية .ففي الجانب الأدبي مثلا قاموا بنقل العديد من الفنون الأدبية كفن التوشيح والزجل بالإضافة إلى فنون أخرى .

* كما أن هؤلاء العلماء تأثروا بعلماء بجاية واكتسبوا معارف ومناهج جديدة كما تأثروا وتأقلموا مع هذا الشعب المضياف ، فلقد كان الشيخ الإمام "أبي مدين شعيب التلمساني " يفضل بجاية على الكثير من المدن ويقول " أنها معينة على طلب الحلال" , بل أنهم تولوا أعلى المناصب الإدارية والدينية والتعليمية في الدولة الكتابة والقضاء وغيرها.

* ويمكننا القول إن المهاجرين الأندلسيين أثروا النهضة العلمية ببجاية وذلك في مختلف تخصصاتهم وتوجهاتهم .

* أيضا من خلال الإطلالة الوجيزة على طريقة التعليم ومناهج التحصيل ببجاية يتبين لنا الوعي باختلاف مناهج المدارس الفكرية للروح التواقة إلى المعرفة، كما نجدهم يستعملون كافة المناهج في التدريس حتى يتسنّى للطالب الوقوف على المفارقات الفكرية وكيفية تطورها وتراجعها ، كما أنها طريقة تَصبُّوا إلى تكوين أجيال تتوفر فيهم لوازم الإتقان لشروط العلم ، فلا يُبنى أبدًا لاحق بدون سابق, ولا يقوم أساس بدون قاعدة .

فتلك هي بعض الملامح البارزة للمنظومة الثقافية التي كانت متداولة ومعروفة ببجاية، وتلك هي الخطة التربوية التي كانت متداولة ومستعملة تقريبا في الحواضر المجاورة كتلمسان وقسنطينة وبونة ....

* وما نستنتجه أن اتجاهات أعلام الفكر وتياراتهم الفكرية نجدها في ثلاث محاور : الفقه وما يتبعها من العلوم الدينية كالتفسير والقراءات وعلم الحديث ، ثم الأدب من شعر ونثر ثم المباحث الفلسفية من التصوف السني والفلسفي ثم نجدها كذلك في الرياضيات والطب .

* ولابد أن نشير إلى أن بجاية خلال هذه الفترة (7ه -13م) عرفت اهتماما بالعلوم الدينية بالدرجة الأولى ، وفي المقابل نتاقص العناية بالعلوم الأخرى سواء كانت اجتماعية أو طبيعية وكان ذلك جليًّا من خلال علماء الدين الذين برزوا في تلك الفترة، وحتى العلماء الذين برعوا في شتى العلوم والفنون كانو فقهاء محدثين ، ولهم مشاركة في علوم أخرى كالأدب والتاريخ والطب والرياضيات،... فكتاب عنوان الدراية صورة عن الحياة العلمية ببجاية خلال القرن السابع الهجري ،فأغلب العلماء الذين ترجم لهم ، هم فقهاء محدثين.

* كما اتسم العلماء في هذه الفترة بالموسوعية , إذ نجدهم متضلعين في شتى العلوم والمعارف ،فمثلا العالم في هذا العصر كان مُلمًا بجميع العلوم ،فالعارف بالدين تجده متضلعا في الأدب وعلم الكلام والتاريخ وهكذا،وهذا بسبب توجههم الصوفي الذي انتشر أكثر بالعهود الوسطى .

* وما العدد الكبير من العلماء الذين برزوا في هذه الفترة في مختلف العلوم والفنون والذين ذكرنا قلة منهم إلا دليل على ذلك الازدهار .ذكر لنا ياقوت الحموي أنه حتى العوام كانوايحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري والموطأ والتلقين ، ويشرحونها للناس على ذاكرتهم.

بالتالي نقول إن بجاية ساهمت في اخصاب الفكر العربي من خلال جهود العلماء والمفكرين .

* وخلاصة القول إن بجاية شهدت حركة علمية ونهضة ثقافية مزدهرة قادها متصوفة وفقهاء وأدباء ومفكرون ومؤرخون ،كان لهم دورا بارزا في بناء معالم الحضارة العربية الإسلامية ، وإرسائها وإثرائها ,وتطورها وتوسيع مجالاتها ومفاهيمها ،علمًا واستيعابًا وتأليفًا وإبداعًا.

* وبهذا حظيت بحياة علمية وفكرية وعقدية ساهم في بنائها أبناؤها أو الوافدين إليها خاصة من الأندلس . فبجاية خلال القرن السابع الهجري مثلت مرحلة النضج الثقافي ، يكفى أنها حافظت على تألقها العلمي والفكري قرابة خمسة قرون كيف لا وهي لؤلؤة المغرب الإسلامي .

* انطلاقا مما سبق دراسته يمكن لنا أن نفتح مجالا لبحوث مستقبلية مكملة لهذا الموضوع منها :

- العلاقات الثقافية بين تلمسان وبجاية خلال القرن السابع الهجري .

- المظاهرالثقافية المتبادلة بين المغرب الإسلامي والمشرق العربي خلا القرن السابع الهجري.

الملاحق

- مملكة بجاية وتونس -

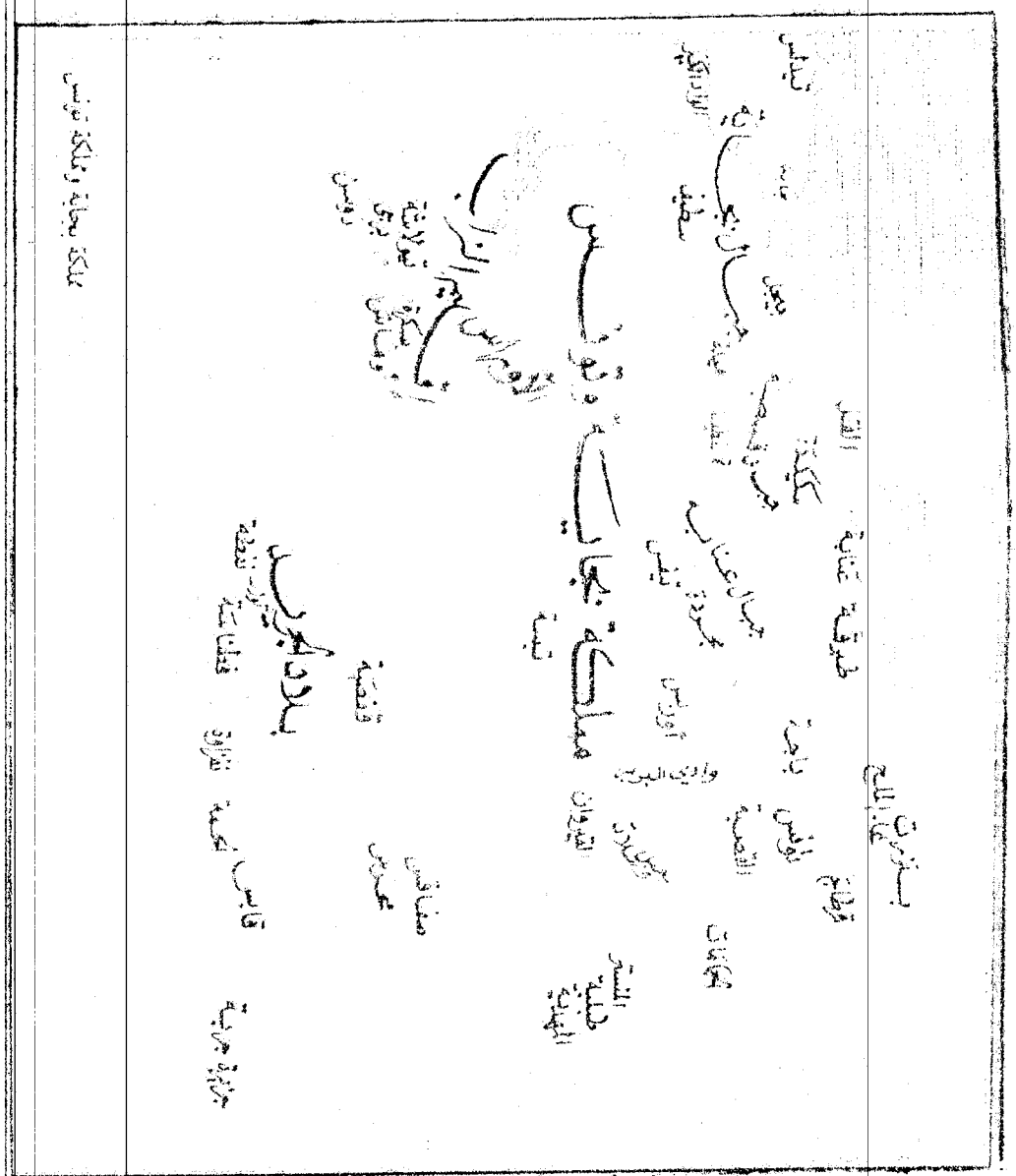

- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2.

- التواجد لهلالي والسـليمي والمعقلي بالمغرب الإسلامـي -

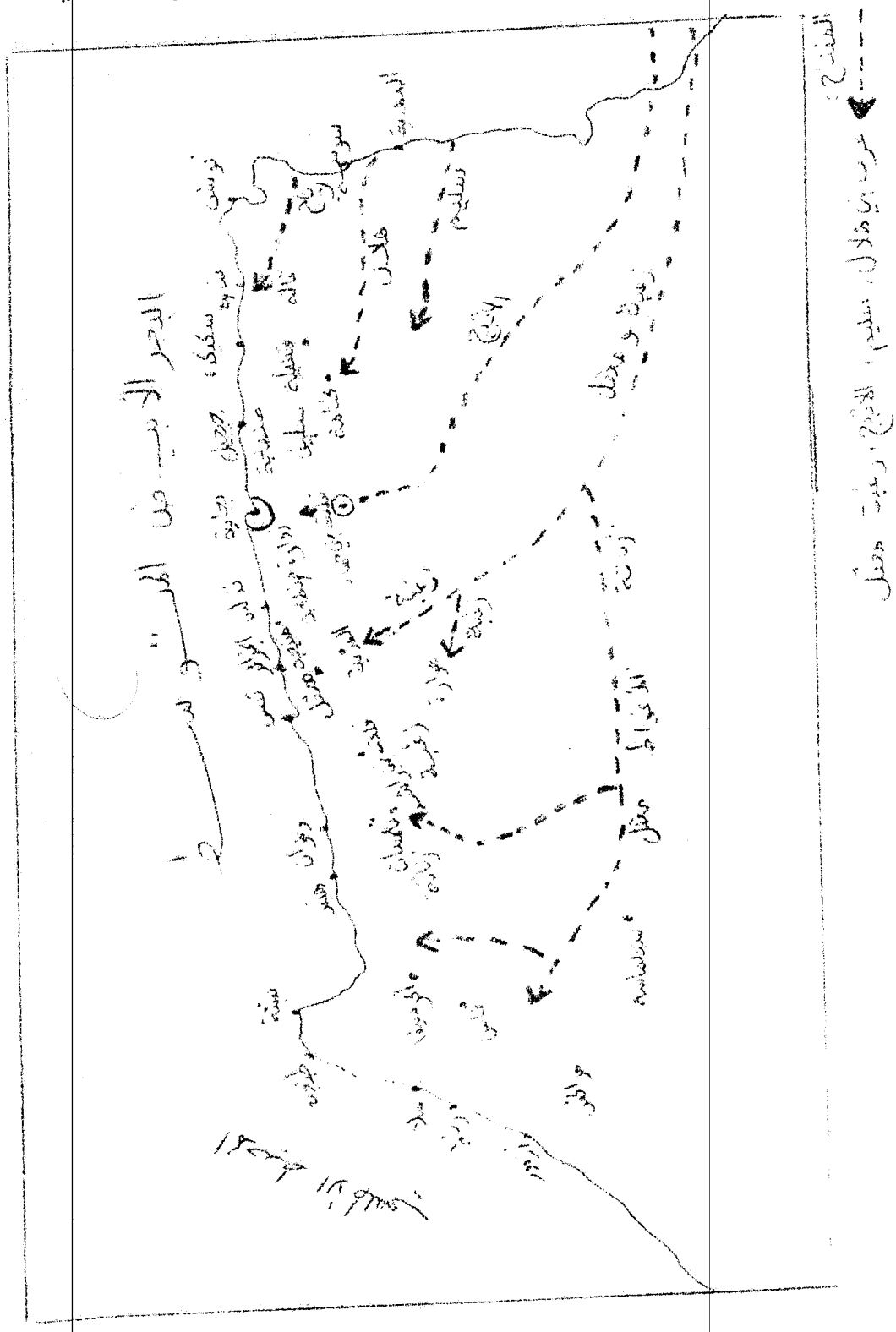

. محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 135، عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر ف التاريخ، ص 73.

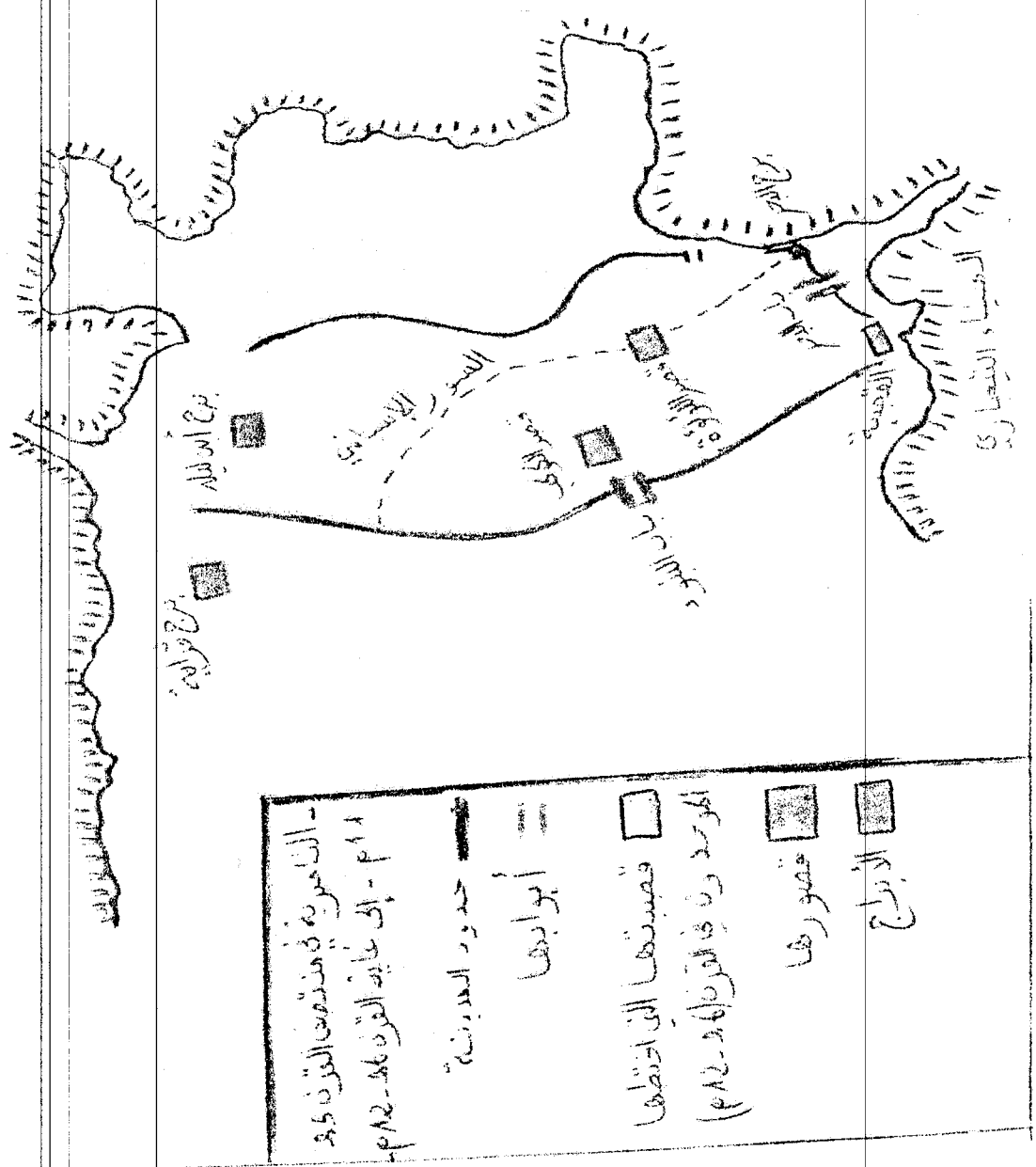

- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 155.

- تفكك الدولة الموحدية الكبرى والدول التي قامت مكانها في المغرب والأندلس

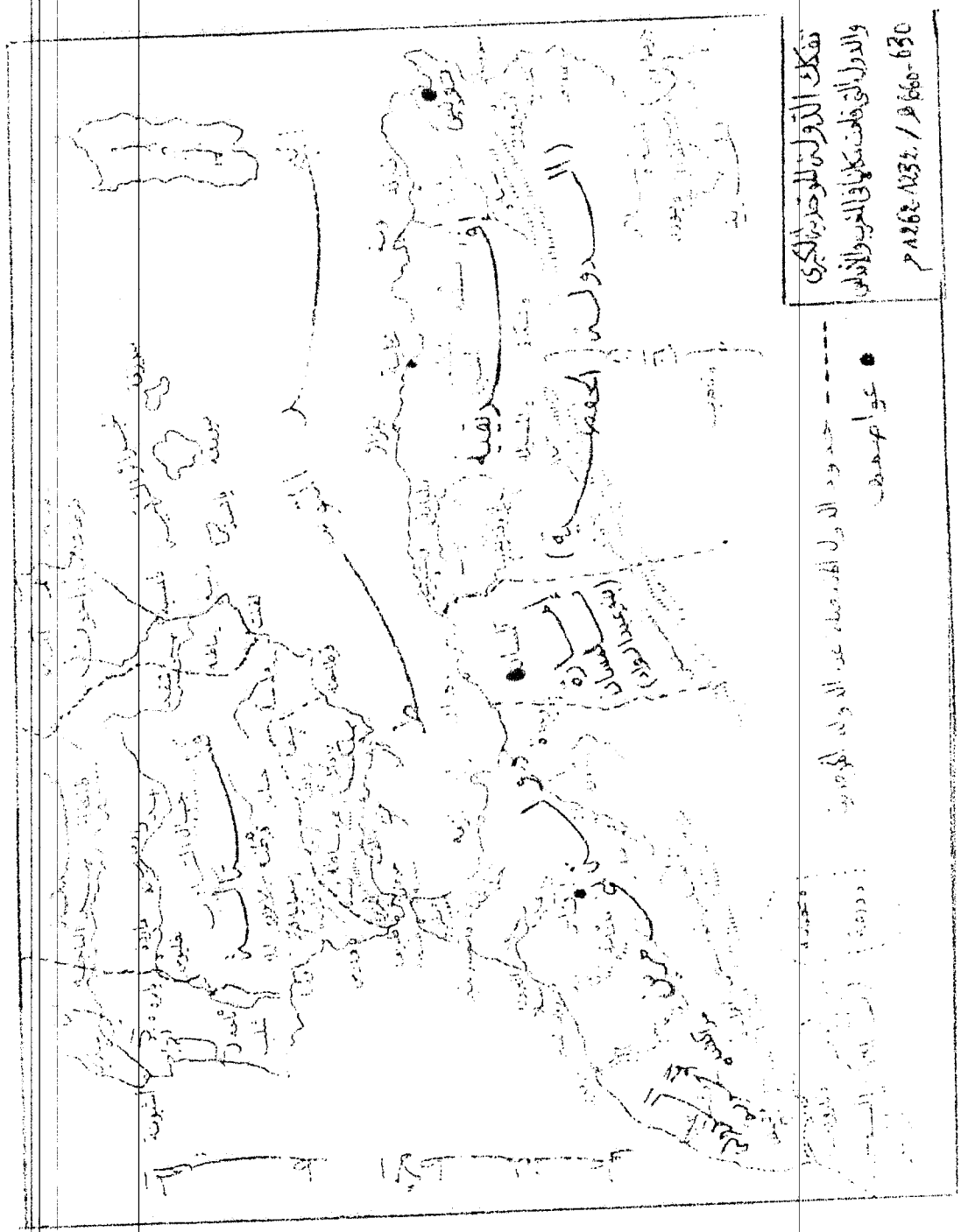

- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، قسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2، الناشر مكتبة الخانجي، 1411هـ/1990م، القاهرة، ص 569.

الحدود و العواصم السياسية للدويلات التي قامت بالمغرب بعد سقوط الدولة الموحدية*

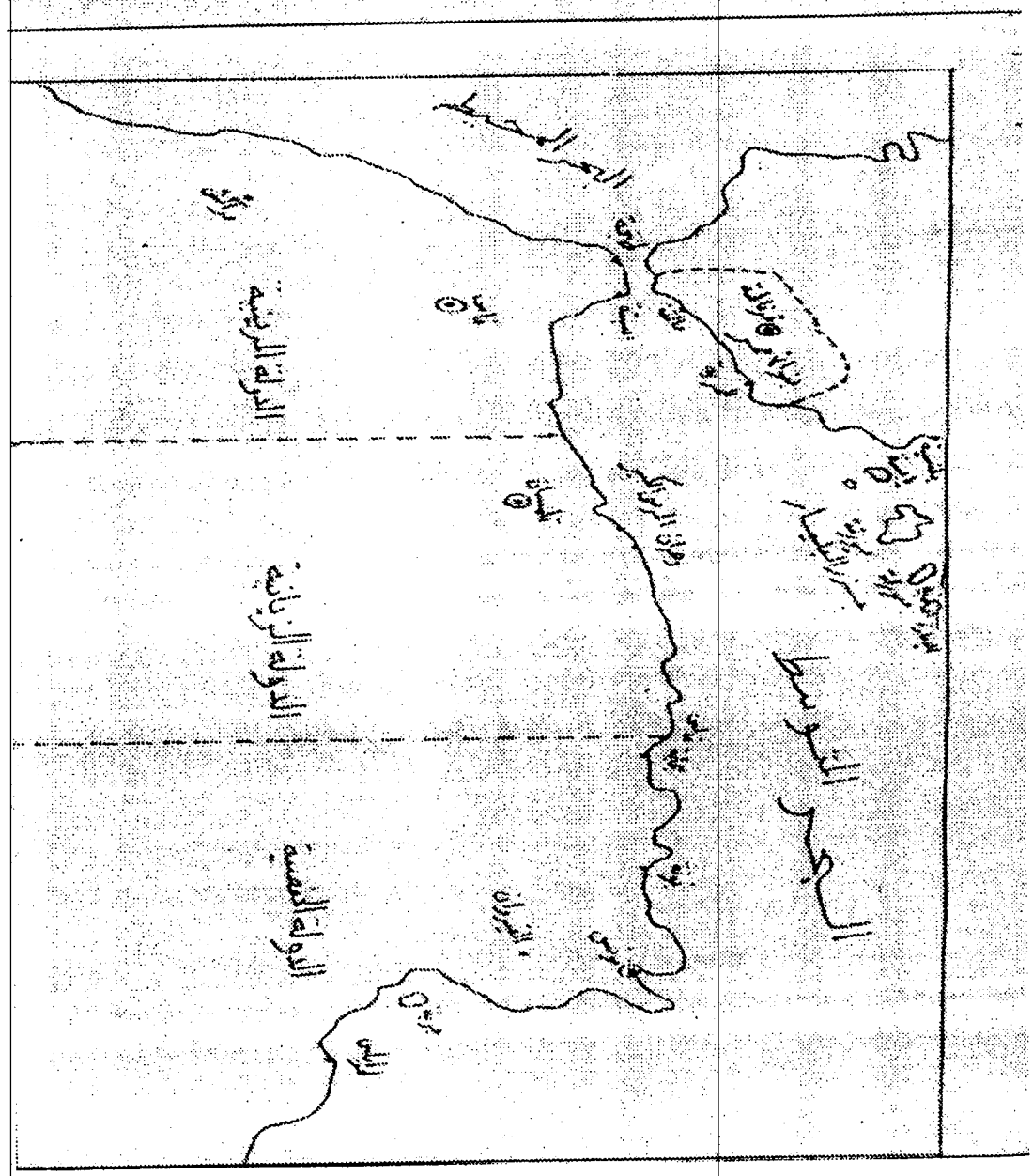

* عاشور بوشامة، المرجع السابق، ص 61.

أهم الطرق البرية و البحرية التي كانت تستعمل للانتقال بالمغرب الإسلامي

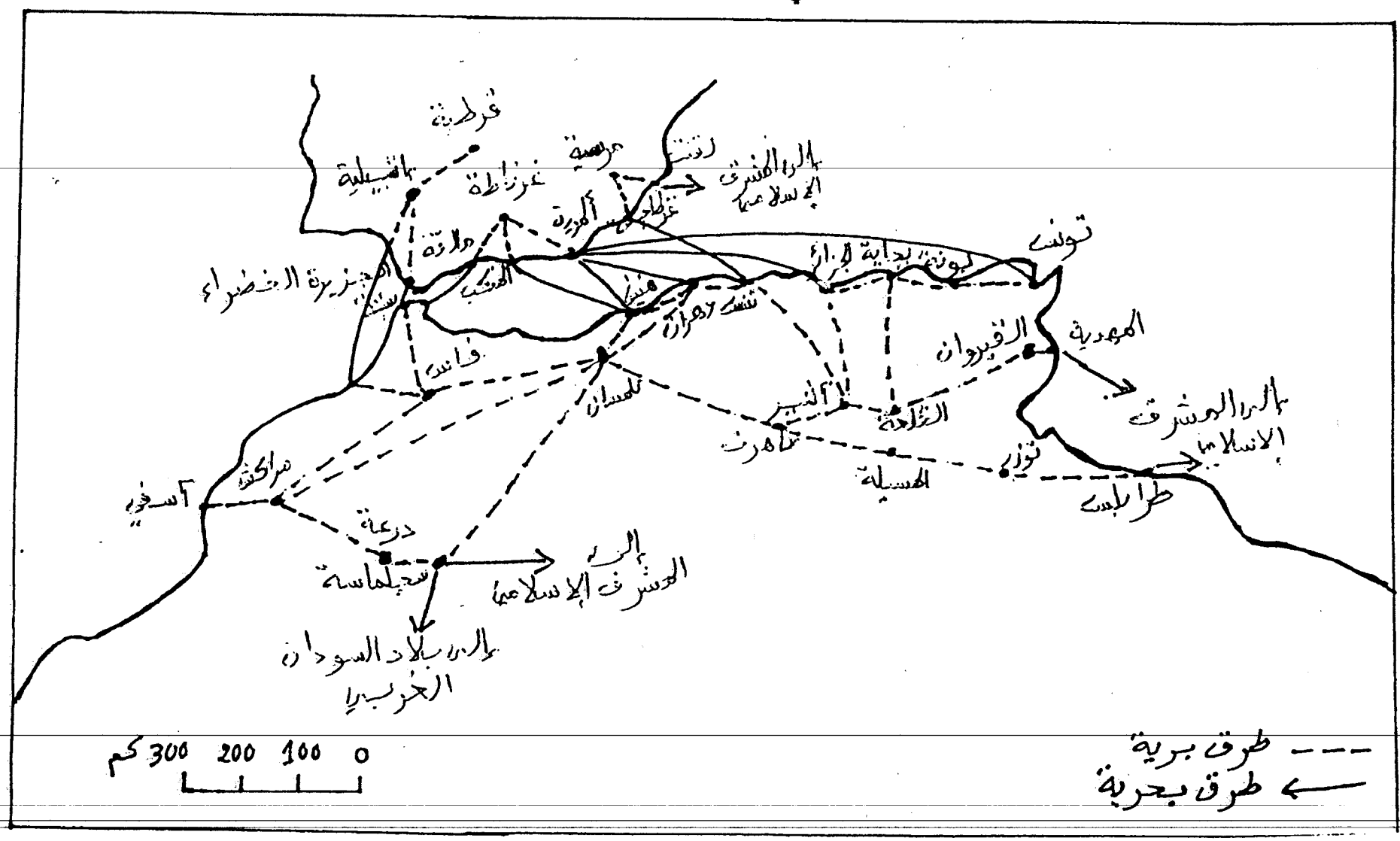

عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 309.

حركة الرحلات العلمية من تلمسان نحو حواضر و مدن المغرب و المشرق الإسلاميين

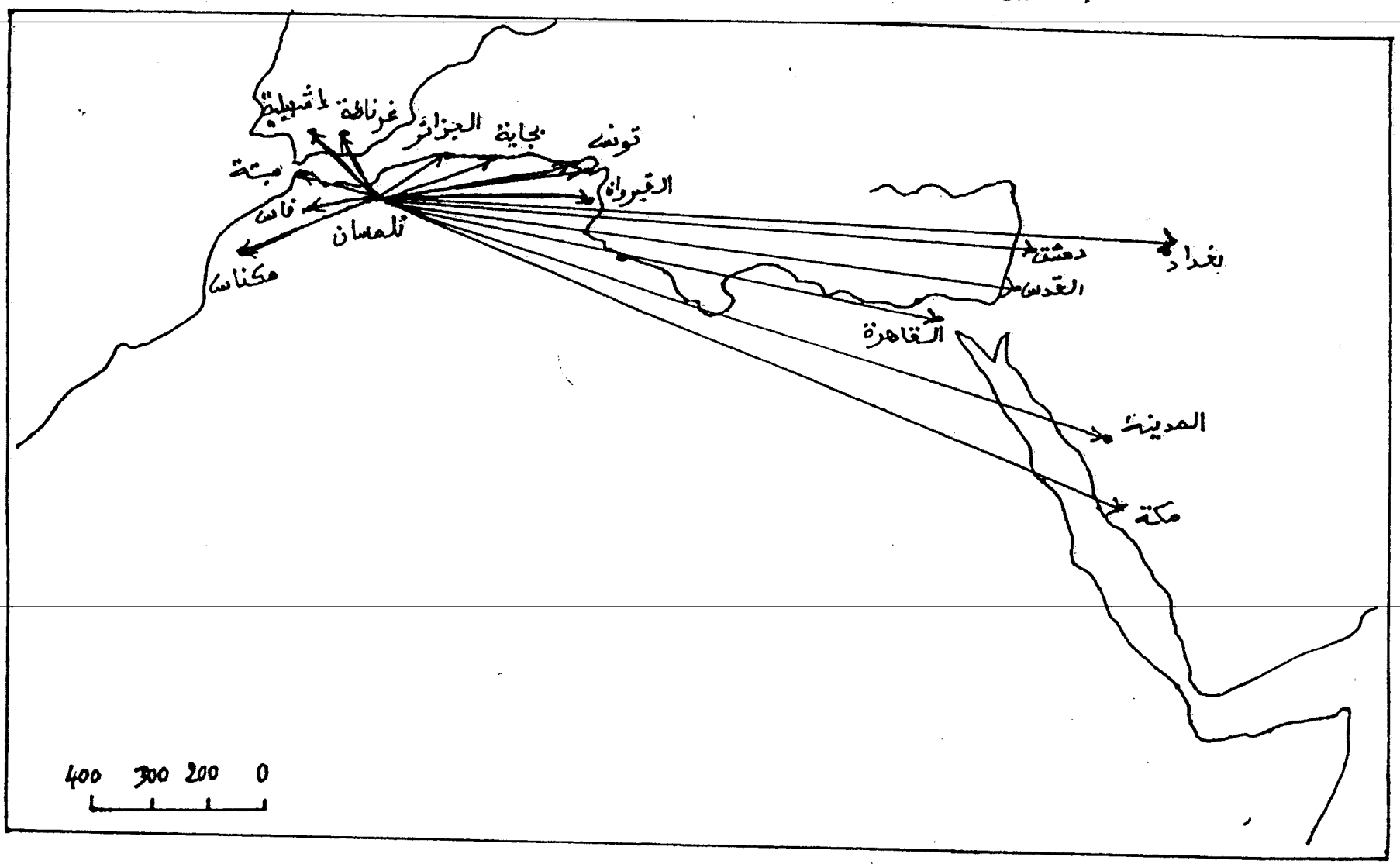

(1) ابن المرزوق العجيسي التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا و عائشة بنعدادة، الدار البيضاء، دار الثقافة، 1981، ص 626.

الملاحق: -07-

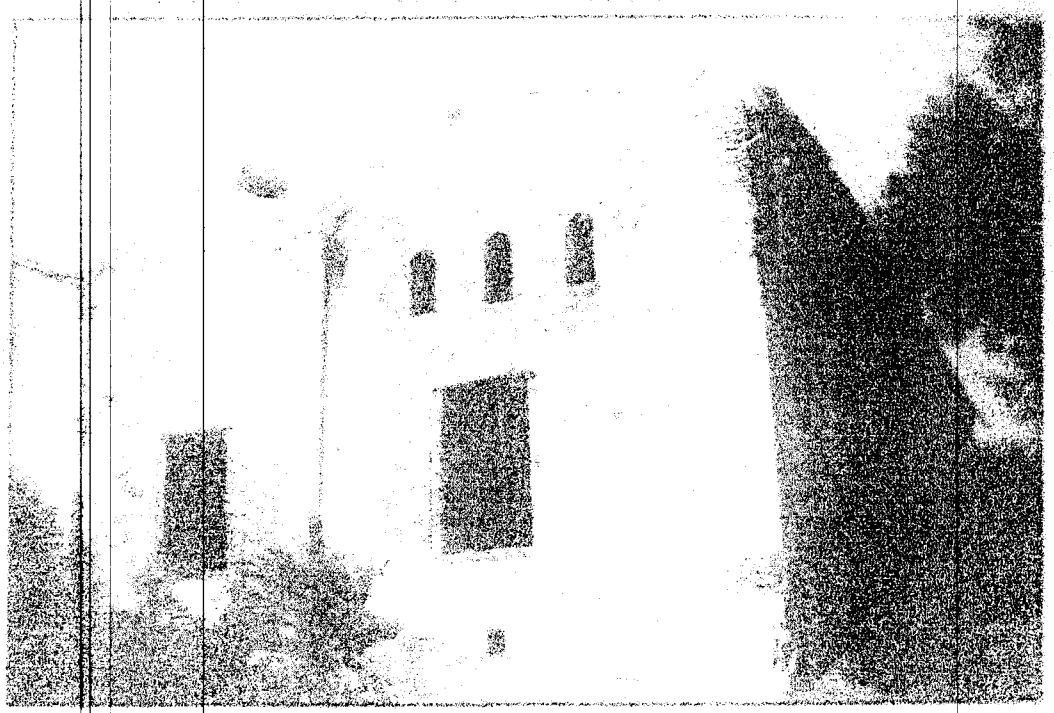

- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها(دراسة أثرية) رسالة الدكتورة، 2007-2008

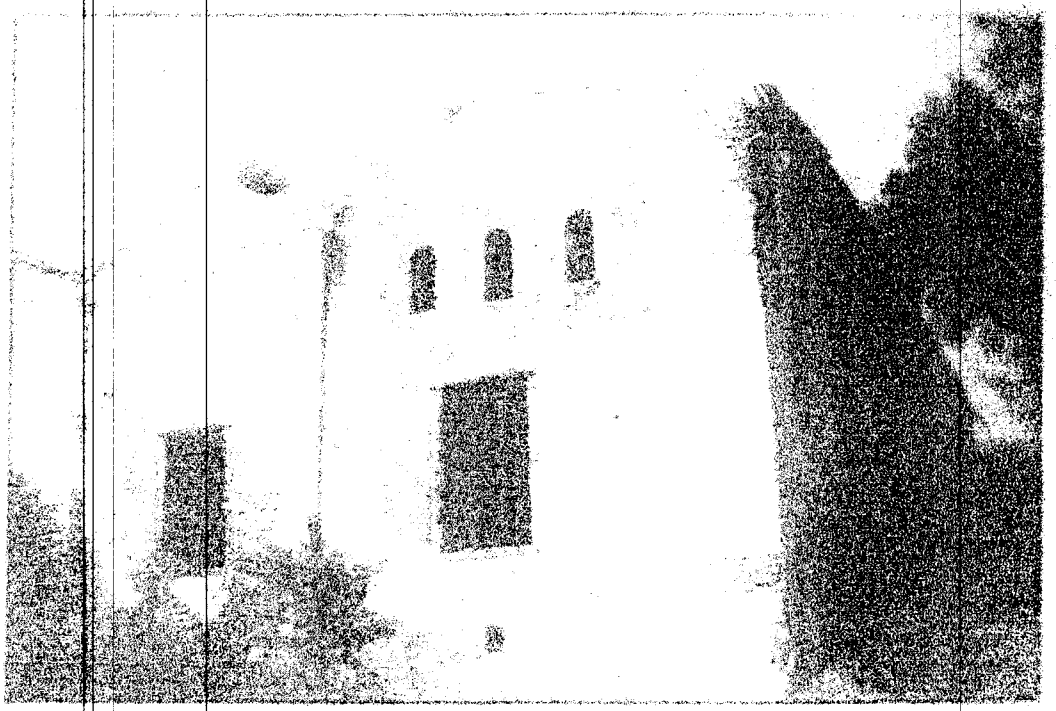

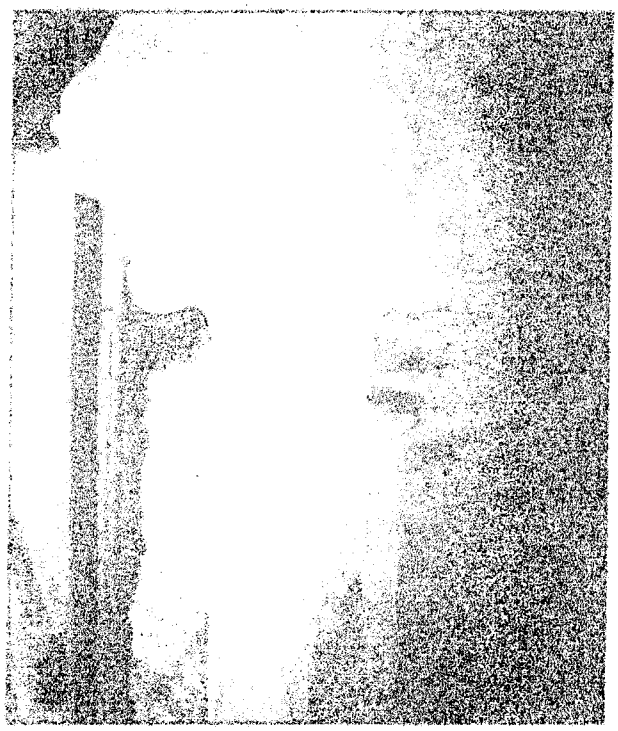

- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها(دراسة أثرية) رسالة الدكتورة، 2007-2008

المكتبة البحثية

الفهرس

الفهرس :

مقدمة ..... أ

مدخل 01

الفصل الأول : عوامل نمو الحركة الفكرية ببجاية .

1ـــ عناية السلاطين والأمراء بالعلم والعلماء..... 14

2ـــ المؤسسات التعليمية ببجاية 23

أ ـــ المساجد 23

ب ـــ الكتاتيب 25

ج ـــ المدارس 27

د ـــ الزوايا 29

3ـــ التعليم: أنواعه ومراحله.

أ ـــ أنواع التعليم :

1.التعليم الشعبي 31

2. التعليم الإحترافي 33

ب ـــ مراحل التعليم :

1. المرحلة الأولى..... 33

2. المرحلة الثانية والثالثة.....36

الفصل الثاني :أصناف العلوم ومشاهير العلماء ببجاية خلال القرن7ه

1ــ العلوم الدينية :

1.1ــ علم القرآن.....40

2.1ــ علم الحديث 42

3.1ــ علم الفقه 43

4.1ــ التصوف 50

2 ــ العلوم العقلية :

1.2ــ الأدب 56

2.2ــ التاريخ 62

3.2ــ الطب 63

4.2ــ الرياضيات 64

الخاتمة 66

الملاحق 71

المكتبة البحثية.....80

الفهرس 85